حديث القرآن عن الشيطان

د/ محمد محمد محمد قاسم

الأستاذ المساعد

بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، أحمده تعالى حق حمده ، وأستعينه وأستهديه وأستغفره وأتوب إليه ، وأصلى وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، وخيرته من خلقه ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ، دعا الناس لأن يكونوا من حزب الرحمن ليفوزوا مع الفائزين ، وخوّفهم من مولاة حزب الشيطان حتى لا يكونوا فى الأذلين . وقد حذرنا الله – تبارك وتعالى – من كيد الشيطان ومكره، وبين لنا أنه عدونا الذى يرانا ولا نراه ، فينبغى أن نتيقظ له ونبادله عداء بعداء ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾(١).

وقد عنى كثير من علماء الأمة بتتبع أساليب الشيطان فى الكيد والتآمر، وطرائقه فى الوسوسة والتلبيس ، كى يفضحوها أمام جمهرة المؤمنين ، وبينوا للناس كيف تكون مقاومته ودحره ، وممن ألفوا وصنفوا فى هذا الباب الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) فى جزءين كبيرين ، جعله فى ثلاثة عشر بابا ، وكان الباب الأخير منها فى مكايد الشيطان ، التى يكيد بها ابن آدم .

وكذلك فيما كتبه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس إبليس) من التحذير من مكايد إبليس ووسائله المختلفة الكثيرة فى إضلال الناس .

ومن أحسن ما كتب فى هذا كتاب (مصائد الإنسان من مكائد الشيطان) للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن مفلح شيخ الحنابلة ورئيسهم وقاضى قضاتهم .

وغير ذلك من الكتب التى اهتم فيها أصحابها بالكلام عن عالم الجن والشياطين ، غير أن فى هذه الكتب قصصا كثيرة وإسرائيليات ، الله أعلم بصحتها .

والذى يعنينا فى هذه الدراسة : هو ، حديث القرآن الكريم عن الشيطان الرجيم ، ومحاولة فهم معانى الآيات فى ضوء التفسير الموضوعى لها ، مع ما يؤيد ذلك من السنة النبوية المطهرة بالإضافة إلى ما ورد من الآثار الكثيرة عن الصحابة

---

(١) سورة فاطر : آية ٦ .

والتابعين ، ومن بعدهم من الصالحين ، فى كتب التاريخ والسير ، والقصص والوعظ والإرشاد ، فذلك أضعاف أضعاف ما جاء فى كتب التفسير وكتب السنة وشروحها .

وأخيراً ، أدعو الله أن ينفع بهذا العمل ، وأن يكتب له القبول، وأن يمنّ علىّ بالمثوبة العفو والعافية ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

د/ محمد محمد محمد قاسم
الأستاذ المساعد
بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر

(١) سورة الحشر : آية ١٠ .

أسماء الشيطان فى القرآن :

ذكر الله عز وجل الشيطان بعدة أسماء وسنبدأ بأكثر أسمائه وروداً فى القرآن ، وهو :

(١) الشيطان :

والشيطان : اسم لكل متمرد .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى " كلُّ غالب متمرد من الجن والإنس والدواب فهو شيطان "[1] .

فهو اسم يدل على العتو والتمرد ، مأخوذ من شطن : إذا بعد عن الخير ، أو مأخوذ من شاط يشيط : إذا هلك ، أو من شاط : إذا احترق، وسمى بهذا الاسم : لبعده عن الحق والخير ، وتمرده على أمر ربه .

واختلف العلماء هل نون الشيطان أصلية أم زائدة على قولين : أحدهما: أن النون فيه أصلية كأنه من شطن ، أى بعد ، يقال من ذلك : شطنت داره : أى بعدت ، قال أمية ابن أبى الصلّت فى صفة سليمان عليه السلام :

أيُّما شاطنٍ عصاه عكاه [2].

ثم يلقى فى السجن والأغلال

فهذا يدل على أن النون أصلية فتكون على (فَيْعَال)فعلى هذا القول فإنه مأخوذ من شَطَن ، وفى تسميته بذلك قولان :

أحدهما : أنه سمى شيطاناً لبعده عن الخير .

والثانى : لبعد غَورِه فى الشر .

والقول الثانى : أن النون فيه زائدة ، فيكون من شاط يشيط إذا ذهب وهلك ، وأنشدوا من ذلك :

وقد يشيط على أرماحنا البطل

فعلى هذا سمى بذلك ، لأنه هالك بالمعصية التى تؤول به إلى الهلاك[3].

(١) مجاز القرآن ٣٢/١ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن – القول فى الاستعاذة ٨٦/١ .
(٢) عكاه : يقال عَكَوْتُه فى الحديد والوثاق عكوا : إذا شددته لسان العرب ٣٠٦٣/٤ ، مادة عكا.
(٣) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزى ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .

وقال ابن منظور " والشيطان : حَيَّةٌ له عُرْفٌ ، والشَّاطِنُ : الخَبِيثُ ، والشيطان : فَيْعَالٌ من شطن إذا بَعُدَ فيمن جعل النون أصلا ، وقولهم الشياطين دليل على ذلك ، والشيطانُ : معروفٌ وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان ، قال جرير:

أيَّامَ يدعوننى الشيطان من غزلٍ

وهُنَّ يهوينني إذا كنت شيطاناً

وتَشَيْطَنَ الرجلُ وشَيْطَن إذا صار كالشيطان وفعل فِعْلَهُ .

وقيل : الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق ، من هيمان وغيمان من هام وغام ، قال الأزهرى : الأوَّلُ أكثر ، قال : والدليل على أنه من شَطَن قول أمية ابن أبى الصلت يذكر سليمان النبى صلى الله عليه وسلم :

أيُّمَا شاطن عصاه عكاه ، أراد : أيما شيطان ، وفى التنزيل العزيز ﴿ **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ** ﴾ [١]"[٢].

قال الإمام القرطبى " ويرد على هذه الفرقة أن سيبويه حكى أن العرب تقول : تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين ، فهذا بين أنه تفعيل من شطن ، ولو كان من شاط لقالوا: تشيَّط ، ويرد عليهم أيضا بيت أمية بن أبى الصلت :

أيُّمَا شاطن عصاه عكاه

ثم يلقى فى السجن والأغلال

فهذا شاطن من شطن لا شك فيه "[٣] .

وقال أبو جعفر الطبرى " والشيطان فى كلام العرب : كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شئ ، وكذلك قال ربنا جل ثناؤه ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ** ﴾ [٤] فجعل من الإنس شياطين مثل الذى جعل من الجن ، ثم ذكر بسنده عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه ركب برْذَوْناً[٥] فجعل يتبختر به ، فجعل

---

(١) سورة الشعراء : آية ٢١٠ .

(٢) لسان العرب ٢٢٦٥/٤ مادة شطن ، وانظر البحر المحيط ٦٢/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن – القول فى الاستعاذة ٨٦/١ .

(٤) سورة الأنعام : آية ١١٢ .

(٥) البرْذَونُ : الدابة لسان العرب ٢٥٢/١ مادة برذن ، المعجم الوسيط ٤٩/١ .

يضربه فلا يزداد إلا تبخترا ، فنزل عنه ، وقال : ما حملتمونى إلا على شيطان ، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسى ..... ثم قال : وإنما سمى المتمرد من كل شئ شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله ، وبُعْده من الخير "[١] .

والناظر فى القرآن الكريم يجد أن الله عز وجل قد ذكر اسم الشيطان معرفا ومنكّرا ، وبلفظ الإفراد والجمع ثمان وثمانين مرة . [٢]

الفرق بين الشياطين والجن :

والشياطين فرقة من الجن ، وهم المردة العصاة ، فكل متمرد من الجن يسمى (شيطانا) كما أن كل عاص من الإنس يسمى (فاسقا) وكل جاحد يسمى (كافرا) فكل شيطان جنى، وليس كل جنى شيطانا ، قال تعالى : ﴿ **وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ** ﴾ [٣] والله أعلم.

(٢) **إبليس** :

وإبليس : اسم للشيطان ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [٤] .

وهو الاسم العلم الذى عرف به عدو الله ، وقد ورد هذا الاسم فى القرآن احدى عشرة مرة ، منها تسع مرات فى قصة آدم عليه السلام ، واثنتان فى غيرها [٥].

فإذا نظرنا إلى هذه القصة ، نجد أن الله تعالى يذكره فيها باسم إبليس عند ذكر امتناعه عن السجود لآدم – عليه السلام – ثم يذكره باسم الشيطان عند ذكر وسوسته لآدم وحواء عليهما السلام ، وإزلاله لهما بالأكل من الشجرة التى نهيا عنها .

ففى سورة البقرة يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ ثم يقول: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾ [٦] .

---

(١) جامع البيان ٣٨/١ .

(٢) يراجع فى ذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٦٩ – ٤٧١ .

(٣) سورة الحج : آية ٣ .

(٤) سورة سبأ : آية ٢٠ .

(٥) يراجع فى ذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص١٦٤ .

(٦) سورة البقرة : آية ٣٤ ، ٣٦ .

وفى سورة الأعراف يقول عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ثم يقول : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ (١).

وفى سورة طه يقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ ثم يقول: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾ (٢).

وهكذا نرى أن الله عز وجل ذكره أولا باسم إبليس ، فلما أبى السجود وتمرد على أمر ربه ، ذكره باسم الشيطان ، الذى يدل على التمرد والعتو والإباء ، والبعد عن رحمة الله ، فلعل هذا يرجح أن ما ذكره أولا هو الاسم العلم ، فلما أبى واستكبر وتمرد على أمر ربه ، ذكره الله بالاسم الذى يدل على سوء حاله وقبيح أفعاله ، وهو الشيطان .

و(إبليس) اختُلف فيه ، فقيل : إنه اسمٌ أعجمى مُنِع من الصَّرْف للعلمية والعَجْمة ، وهذا هو الصحيح ، وقيل : إنه مشتق من الإبلاس وهو اليأس من رحمة الله تعالى والبعد عنها (٣).

وهو كائن حى ، وقد أخطأ من حمله على معنى داعى الشر الذى يخطر فى النفوس ، إذ ليس من المعقول أن يكون كذلك مع أن القرآن أخبرنا بأنه يرى الناس ولا يرونه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٤) . أى احذروا إبليس فإنه هو وجنوده من الجن يرونكم وأنتم لا ترونهم ، والضرر الناجم من العدو الذى لا يُرى أخطر من العدو الظاهر المرئى ، والوقاية منه تكون بالاستعاذة بالله منه ، وبتقوية الروح بالإيمان بالله والصلة به ، وبمجاهدة النفس وعدم إصغائها للوساوس ، ثم محاولة طردها من النفس وتصفية آثارها منها ، من طريق التزام قواعد الشرع وآدابه وأخلاقه .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١١ ، ٢٠ .

(٢) سورة طه آية ١١٦ ، ١٢٠ .

(٣) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ٢٧٥/١ – ٢٧٦ ، وانظر معانى القرآن ١١٤/١ ، التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٥١/١ ، إعراب القرآن وبيانه لدرويش ٨٤/١ .

(٤) سورة الأعراف : آية ٢٧ .

قال أبو جعفر الطبرى " وإبليس إفعيل من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن ، وذكر بسنده عن الضحاك عن ابن عباس قال : إبليس : أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجيما عقوبة لمعصيته ، وذكر عن السدى قوله : كان اسم إبليس الحارث ، وإنما سمى إبليس حين أبلس فغير ، كما قال الله جل ثناؤه ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (١) يعنى أنهم آيسون من الخير نادمون حزناً "(٢) .

وقال ابن منظور " أبلس الرجل : قطع به ، وأبلس : سكت ، وأبلس من رحمة الله : أى يئس وندم ، ومنه سمى إبليس ، وقيل : سمى بهذا الاسم : لأنه لما أويس من رحمة الله أبلس يأساً ، وقال أبوبكر : الإبلاس معناه فى اللغة : القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى ، ويقال : أبلس الرجل إذا قطع فلم تكن له حجة ، والإبلاس : الانكسار والحزن ، يقال : أبلس فلان: إذا سكت غمًّا "(٣) .

وبشئ من التأمل والتفكر – فيما سبق – نجد أن لفظ الشيطان إذا ورد فى القرآن معرفة ، فالمراد منه إبليس اللعين ، صاحب القصة مع أبينا آدم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ (٤) .

وسنرى ذلك واضحا فى ثنايا البحث إن شاء الله تعالى .

وأحب أن ألفت الأنظار إلى أنه قد ورد لفظ الشيطان (معرفة) خمسا وستين مرة فى القرآن(٥) ، وورد بلفظ (النكرة) خمس مرات ، أربع منها جاءت موصوفة والخامسة بغير وصف ، والمراد منها مطلق شيطان – عند أبو حيان وغيره – قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ (٦) ، وقال سبحانه : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ (٧) ، وقال عز وجل : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ

---

(١) سورة الأنعام : آية ٤٤ .

(٢) جامع البيان ١٨٠/١ .

(٣) لسان العرب ٣٤٢/١ – ٣٤٣ مادة بلس .

(٤) سورة الأعراف : آية ٢٧ .

(٥) يراجع فى ذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٦٩ – ٤٧١ .

(٦) سورة الحج : آية ٣ .

(٧) سورة الصافات : آية ٧ .

رَجِيمٍ ﴾[١] ، وقال : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾[٢]، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [٣].

كما ورد لفظ (الشياطين) بالجمع والتعريف بأل ست عشرة مرة ، والمراد بهم شياطين الجن ، وجاء جمعا مضافاً مرة واحدة ، وهو قوله تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [٤] والمراد بهم شياطين الإنس وشياطين الجن ، كما يدل عليه نص الآية ، وجاء جمعاً مضافا إلى ضمير المنافقين ، والمراد بهم شياطين الإنس ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴾ [٥].

وسأبين ذلك كله فى أثناء البحث إن شاء الله .

وهذان الإسمان هما أشهر أسماء الشيطان ، وقد وردت له أسماء أخرى فى القرآن الكريم .

وللعلماء فى كون إبليس من الملائكة أم لا ؟ قولان :

أحدهما : أنه كان من الملائكة ، لأن خطاب السجود كان للملائكة ، ولأن الظاهر من هذه الآية وأمثالها أنه منهم .

قال ابن عباس : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة [٦].

وعن ابن عباس – أيضا – قال : كان إبليس من الملائكة ، فلما عصى الله غضب عليه ، فلعنه ، فصار شيطاناً . [٧]

---

(١) سورة التكوير : آية ٢٥ .
(٢) سورة النساء : آية ١١٧ .
(٣) سورة الزخرف : آية ٣٦ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١١٢ .
(٥) سورة البقرة : آية ١٤ .
(٦) جامع البيان ١٧٨/١ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١ .

وحكى الماوردى عن قتادة : أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجِنَّة. [١]

ورجح الطبرى قول من قال : إن إبليس كان من الملائكة . [٢]

وقال البغوى " وهو الأصح ، لأن خطاب السجود كان مع الملائكة ، وقوله﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [٣] أى من الملائكة الذين هم خزنة الجنة " [٤] .

هذا قول أكثر المفسرين ، لأنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ فلولا أنه من الملائكة ، لما توجه الأمر إليه بالسجود ، ولو لم يتوجه الأمر إليه بالسجود لم يكن عاصيا ، ولما استحق الخزى والنكال .

والاستثناء على هذا متصل .

والقول الثانى : أنه كان من الجن ، ولم يكن من الملائكة ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [٥] ، فهو أصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس ، ولأنه خلق من نار ، والملائكة خلقوا من نور ولأن له ذرية ، ولا ذرية للملائكة .

قال الحسن : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وأنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس[٦].

وروى نحوه عن ابن عباس وقال : اسمه الحارث[٧] .

وقال شهر بن حوشب : كان من الجن الذين كانوا فى الأرض وقاتلتهم الملائكة فسبَوْه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخُوطب[٨] .

---

(١) المرجع السابق والجزء والصفحة .
(٢) جامع البيان ١٨٠/١ .
(٣) سورة الكهف : آية ٥٠ .
(٤) مختصر تفسير البغوى ٢٠/١ .
(٥) سورة الكهف : آية ٥٠ .
(٦) جامع البيان ١٧٩/١ .
(٧) جامع البيان ١٧٩/١ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١ .
(٨) المحرر الوجيز ١٢٤/١ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١ .

وحكاه الطبرى عن ابن مسعود [١].

واختار هذا القول أبو البقاء العكبرى [٢].

وقال الزمخشرى " إنما تناوله الأمر ، وهو للملائكة خاصة لأن إبليس كان فى صحبتهم ، وكان يعبد الله عبادتهم ، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له ، كان الجنى الذى معهم أجدر بأن يتواضع " [٣].

والاستثناء على هذا منقطع .

واحتج بعض أصحاب هذا القول بأن الله عز وجل وصف الملائكة فقال : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٤] ، وقوله تعالى :﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[٥] والجن غير الملائكة .

أجاب أهل المقالة الأولى بأنه لا يمتنع أن يخرج إبليس من جملة الملائكة لما سبق فى علم الله بشقائه عدلا منه ، لا يُسأل عما يفعل ، وليس فى خلقه من نار ولا فى تركيب الشهوة حين غضب عليه ما يدفع أنه من الملائكة [٦].

وقد حاول ابن القيم أن يجمع بين الرأيين فقال " والصواب التفصيل فى هذه المسألة ، وأن القولين فى الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله ، كان أصله من نار ، وأصل الملائكة من نور ، فالنافى كونه من الملائكة والمثبت لم يتواردا على محل واحد " [٧].

---

(١) جامع البيان ١٧٨/١ .
(٢) التبيان فى إعراب القرآن ٥١/١ .
(٣) الكشاف ٢٧٢/١ .
(٤) سورة التحريم : آية ٦ .
(٥) سورة الكهف : آية ٥٠ .
(٦) انظر جامع البيان ١٨٠/١ ، المحرر الوجيز ١٢٤/١ – ١٢٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١.
(٧) نقلا عن محاسن التأويل للقاسمى ١٠٤/٢ .

(٣) **الوَسْوَاس** :

وقد ورد هذا الاسم فى سورة (الناس) وهى آخر سورة فى القرآن ، يعلمنا فيها الله عز وجل الاستعاذة بالله عز وجل من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الرجيم : إبليس اللعين ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {١} مَلِكِ النَّاسِ {٢} إِلَهِ النَّاسِ {٣} مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {٤} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {٥} مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ {٦}**﴾ .

اشتملت هذه السورة على الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إلى رب الناس الملك الإله الحق من شر إبليس وجنوده الذين يغوون الناس بوسوستهم .

وهذه السورة وسورة الفلق تعوذ بهن رسول الله ﷺ من سحر اليهود .

أخرج الترمذى[١] – بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى عن النبى ﷺ قال : قد أنزل الله علىَّ آيات لم يُر مثلهن (قل أعوذ برب الناس) إلى آخر السورة ، و (قل أعوذ برب الفلق) إلى آخر السورة . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وكما أرشدنا الله عز وجل إلى الالتجاء إليه ، والاستعاذة به من شر الشيطان الرجيم إذا أردنا أن نقرأ القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [٢] فكذلك يرشدنا فى هذه السورة الكريمة أن نستعيذ بالله من شر (الوسواس الخناس) عند ختم القرآن ، لتكون الاستعاذة بالله من الشيطان عند البدء وعند الختام ، وكذلك عند كل وسوسة أو تزيين أو إغواء .

و (الوَسْوَاس) اسم من أسماء الشيطان ، وهو أيضا ما توسوس به شهوات النفس وتسوله ، وذلك هو الهواء الذى نهى المرء عن اتباعه وأمر بمعصيته[٣] .

وقال الزجاج " الوسواس : هو الشيطان ، يقال وسوس فى صدره ووسوس إليه ، والوسوسة الكلام الخفى فى اختلاط ، والوسواس اسم منه ، وفسرت هنا بأن المعنى من شر ذى الوسواس ، أى الشيطان ، فيكون الوسواس مصدراً " [٤].

---

(١) سنن الترمذى – ومن سورة المعوذتين ١٢٢/٥ رقم ٣٤٢٦ .
(٢) سورة النحل : آية ٩٨ .
(٣) المحرر الوجيز ٥٤٠/٥ .
(٤) معانى القرآن ٣٨١/٥ ، وانظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٢٠٨/٥ ، الدر المصون ١٦٢/١١ ، الكشاف ٣٠٢/٤ .

وقال البروسوى " الوسواس : اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والفرق بين المصدر واسم المصدر هو أن الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمى مصدراً وإذا لم يعتبر بهذه الحيثية سمى اسم المصدر ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه إليه كرر لفظها بإزاء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لأنه يدعو إلى المعصية بكلام خفى يفهمه القلب من غير أن يسمع صوته وذلك بالاغرار بسعة رحمة الله أو بتخييل أن له فى عمره سعة وأن وقت التوبة باق بعد سمى بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس " (١) .

وقد سلط الله الشيطان على الناس إلا من عصمه الله ، للمجاهدة والفتنة والاختبار ، أخرج الإمام مسلم (٢) – بسنده – عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : " ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّل به قرينُه من الجن . قالوا : وإياك يا رسول الله . قال: وإيَّاىَ إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير " .

وأخرج مسلم (٣) – أيضا – بسنده – عن على بن حسين ، عن صفية بنت حُيي قالت : كان النبى ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدَّثْتُه ، ثم قمتُ لأنقلب ، فقام معى ليقلبنى ، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبى أسْرَعا ، فقال النبى ﷺ " على رسلكما إنها صفية بنت حُيىٍّ " فقالا سبحان الله يا رسول الله . قال " إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً أو قال شيئاً " .

والشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بالوسوسة ، وهى طريقة لا ندركها ولا نعرفها على الحقيقة ، ولكننا نجد آثارها فى واقع النفوس وواقع الحياة يساعده ا على ذلك طبيعته التى خلقه الله عليها ، وبهذه الوسوسة أضل آدم وحواء وأغراهما

(١) روح البيان ٥٤٧/١٠ – ٥٤٨ .
(٢) صحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب تحريش الشيطان ١٧١٩/٤ رقم ٢٨١٤.
(٣) صحيح مسلم – كتاب السلام – باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة وكانت زوجة أو محرما له ، أن يقول : هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ١٣٦٦/٤ رقم ٢١٧٥ .

بالأكل من الشجرة التى نهيا عنها ، ليبدى لهما ما ستر عنهما من سوءاتهما، قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (١) .

وهكذا يضل أبناءهما من بعدهما .

ثم وصف الشيطان فقال (الخناس) .

و(الخناس) صيغة مبالغة من خنس بمعنى انقبض وتأخر ، والمصدر خنوس كجلوس، والمادة كلها تدور على هذا الأصل ، فالنجوم الخنس هى التى تخنس عن مجراها وتختفى بيضاء الشمس .

قال العلامة الألوسى " الخناس : صيغة مبالغة أو نسبة أى الذى عادته أن يخنس ويتأخر إذا ذكر الإنسان ربه عز وجل "(٢) .

أخرج الحاكم(٣) – بسنده – عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس فإن ذكر الله خنس وإن غفل وسوس ، وهو قوله تعالى (الوسواس الخناس) . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

وفى الحديث : الشيطان يلتقم قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس عنده وإذا نسى الله التقم قلبه . (٤)

أما وصف هيئة الشيطان ، وكيفية وسوسته فى القلب ، فلا نجزم بذلك إلا بحديث صحيح ، وقد ذكر المفسرون فى ذلك روايات كثيرة ، وذكر الإمام الطبرى بعضها ، ثم قال " والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله أمر نبيه محمدا ﷺ أن يستعيذ به من شر شيطان يوسوس مرة ويخنس أخرى ، ولم يخص وسوسته على نوع من أنواعها ، ولا خنوسه على وجه دون وجه ، وقد يوسوس بالدعاء إلى معصية الله،

(١) سورة الأعراف : آية ٢٠ .
(٢) روح المعانى ٢٨٦/٣٠ .
(٣) المستدرك – كتاب التفسير – تفسير سورة الناس ٥٤١/٢ .
(٤) الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للسيوطى ٤٣/٢ وعزاه للحكيم الترمذى عن أنس . وقال: حسن .

فإذا أطيع فيها خنس ، وقد يوسوس بالنهى عن طاعة الله ، فإذا ذكر العبد أمر ربه فأطاعه فيه وعصى الشيطان خنس ، فهو فى كل حالتيه وسواس خناس وهذه صفته"[١]. وهذا تفسير أعم وأشمل فهو أولى .

(٤) الطاغوت :

قال الزجاج " الطاغوت : مَرَدة أهل الكتاب ، وقيل : إن الطاغوت : الشيطان "[٢] .

وقال ابن الجوزى " الطاغوت : اسم مأخوذ من الطغيان ، والطغيان : مجاوزة الحد ، وقد سمى الكافر طاغوتا ، ويسمى بذلك الساحر ، والصنم ، والشيطان ، وكُلُّ ما ورد من الجن والإنس "[٣] .

وقال ابن منظور " الطاغوت : الشيطان والكاهن وكل رأس فى الضلال " [٤].

وقال صاحب القاموس القويم " الطاغوت : مصدر يدل على المبالغة ، فالتاء تزاد فى المصادر للمبالغة ، ويسمى به الشيطان والصنم وكل ما عُبد من دون الله وكل ما يغرى بالشرّ والداعى للضلال والفتنة " [٥] .

ويتحدد المراد بحسب المعنى .

والطاغوت : للواحد ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث ، فللواحد كقوله تعالى:﴿ **يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ**﴾ [٦]، وللجمع كقوله :﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ** ﴾ [٧] ، وللمذكر كما فى الآية الأولى وللمؤنث كقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا** ﴾ [٨] .

وقد ورد لفظ الطاغوت فى القرآن الكريم تسع مرات ، أبينها فيما يلي :

---

(١) جامع البيان ٢٢٩/٣ .
(٢) معانى القرآن ٣٣٩/١ .
(٣) نزهة الأعين النواظر – باب الطاغوت ص٤١٠ .
(٤) لسان العرب ٢٦٧٨/٤ مادة طغى ، مختار الصحاح ص٣٤٥ .
(٥) القاموس القويم ٤٠٢/١ .
(٦) سورة النساء : آية ٦٠ .
(٧) سورة البقرة : آية ٢٥٧ .
(٨) سورة الزمر : آية ١٧ .

١- فى سورة البقرة يقول تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ** ﴾ [١] .

قال السمرقندى : " الطاغوت : الشيطان ، وقيل : الصنم " [٢].

وقال ابن عطية " واختلف المفسرون فى معنى (الطاغوت) فقال عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبى والضحاك وقتادة والسدى (الطاغوت) الشيطان ، وقال ابن سيرين وأبو العالية (الطاغوت) الساحر ، وقال سعيد بن جبير وجابر بن عبدالله وابن جريج (الطاغوت) الكاهن ، .. ثم قال هذه أمثلة فى الطاغوت ، لأن كل واحد منها له طغيان ، والشيطان أصل ذلك كله " [٣].

وذكر الإمام الحافظ ابن كثير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الجبت : السحر، والطاغوت : الشيطان ... ثم قال : ومعنى قوله فى الطاغوت إنه الشيطان قوىّ جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها " [٤].

٢- وفى سورة البقرة يقول سبحانه : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [٥] .

قال ابن عطية " الطاغوت : الشيطان " [٦].

وقال أبو السعود (الطاغوت) " أى الشياطين أو الأصنام أو سائر المضلين عن طريق الحق " [٧].

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .
(٢) بحر العلوم ٢٢٤/١ .
(٣) المحرر الوجيز ٣٤٤/١ ، وانظر الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٣٦٩/١ ، مفاتيح الغيب ٥٥١/٣ – ٥٥٢ ، فتح القدير ٢٧٥/١ – ٢٧٦ ، روح البيان ٤٠٧/١ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣١١/١ .
(٥) سورة البقرة : آية ٢٥٧ .
(٦) المحرر الوجيز ٣٤٥/١ .
(٧) إرشاد العقل السليم ٢٥٠/١ ، وانظر روح المعانى ١٤/٣ ، محاسن التأويل ٦٦٦/١ .

وقال البروسوى " أى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق من الكهنة وقادة الشر ، وإن حمل على الأصنام التى هى جمادات فالمعنى لا يكون على الموالاة الحقيقية التى هى المصادقة أو تولى الأمر ، بل يكون على أن الكفار يتولونهم أى يعتقدونهم ويتوجهون إليهم " (١).

وقال النيسابورى " يعنى : رؤساء الضلالة مثل كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب"(٢).

وهذا غير خارج عما قال أهل اللغة ، لأنهم إذا اتبعوا أمرهما فقد أطاعوها من دون الله.

وتفسير الطاغوت بأنه الشيطان فى الآية هو الأولى .

والمعنى : الله يتولى أمور المؤمنين بالرعاية والعناية والهداية لأرشد الأمور ، وهو يخرجهم من ظلمات الشك ، والجهل ، والضلالة ، والكفر ، والانحراف ، إلى نور العلم والمعرفة واليقين والإيمان الصحيح ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ (٣) .

وأما الكافرون بالله ورسوله فلا سلطان على نفوسهم إلا لمعبوداتهم الباطلة التى تقودهم إلى الضلال ، فإن لاح لهم نور الحق والإيمان ، بادر الشيطان وما يلقيه من وساوس إلى إطفاء هذا النور ، وإبقاء الكفار فى ظلمات الشك والضلال والكفر والعصيان ، وكان جزاؤهم الحق المنتظر هو الخلود فى النار والملازمة لها بسبب بعدهم عن الهدى وتماديهم فى الضلال ، وعدم استنارة قلوبهم بنور الحق .

٣- وفى سورة النساء يقول الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** ﴾ (٤) .

اختلف أهل التأويل فى تأويل الجِبْت والطاغوت ، فقال ابن عباس وابن جُبَيْر وأبو ا العالية (الجبت) الساحر ، و (الطاغوت) الكاهن ، وقال الفاروق عمر رضى الله

---

(١) روح البيان ٤٠٨/١ .

(٢) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٣٧٠/١ ، بحر العلوم للسمرقندى ٢٢٤/١ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .

(٤) سورة النساء : آية ٥١ .

عنه (الجِبْت) السحر ، و (الطاغوت) الشيطان ، وقاله مجاهد والشعبى ، وقال زيد ابن أسلم (الجبت) الساحر ، و (الطاغوت) الشيطان ، وقال سعيد بن جبير ورفيع (الجبت) الساحر ، و (الطاغوت) الكاهن ، وقال قتادة (الجبت) الشيطان و (الطاغوت) الكاهن ، وقال سعيد بن جبير أيضا (الجبت) الكاهن ، و (الطاغوت) الشيطان ، وقال مجاهد (الجِبْت) كعب بن الأشرف ، و (الطاغوت) الشيطان كان فى صورة إنسان ، وقال الكلبى (الجبت) حيي بن أخطب ، و (الطاغوت كعب بن الأشرف(١).

وقال البروسوى " الجبت : فى الأصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله، و(الطاغوت) الشيطان ، ويطلق لكل باطل من معبود أو غيره " (٢).

وقد ذكر الإمام الطبرى هذه الأقوال ثم قال " والصواب من القول فى تأويل (يؤمنون بالجبت والطاغوت) أن يقال يصدقون بمعبودين من دون الله يعبدونهما من دون الله ويتخذونهما إلهين وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائنا ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان ، وإذ كان ذلك كذلك وكانت الأصنام التى كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جبوتا وطواغيت وكذلك الشياطين التى كانت الكفار تطيعها فى معصية الله وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا فى أهل الشرك وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف لأنهما كانا مطاعين فى أهل ملتهما من اليهود فى معصية الله والكفر به وبرسوله فكانا جبتين وطاغوتين " (٣).

وقال ابن عطية " مجموع هذا يقتضى أن (الجبت والطاغوت) هو كل ما عبد وأطيع من دون الله تعالى " (٤).

---

(١) انظر بحر العلوم ٣٦٠/١ ، الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٦٦/٢ ، المحرر الوجيز ٦٦/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٧٢/٣ – ١٧٣ ، تفسير القرآن العظيم ٥١٢/١ .

(٢) روح البيان ٢٢١/٢ .

(٣) جامع البيان ٨٤/٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٦٦/٢ .

وتفسير الطاغوت بأنه الشيطان كما مر فى الآيات السابقة قوىٌ جدا كما يقول الإمام الحافظ ابن كثير .

٤- وفى سورة النساء - أيضا - يقول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ (١).

هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين ، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر فى سبب نزول هذه الآية أنها فى رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودى يقول بينى وبينك محمد ، وذاك يقول بينى وبينك كعب بن الأشرف .

وقيل فى جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية (٢). وقيل غير ذلك .

وهذه الآية وإن كان سبب نزولها يرجح أن المراد بالطاغوت كعب بن الأشرف أو غيره ، فهو شيطان من شياطين الإنس وولى من أولياء الطاغوت الأكبر ، إبليس اللعين .

قال ابن كثير " والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامَّة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكموا إلى ماسواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا " (٣).

٥- وفى سورة النساء - أيضا - يقول سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٤).

---

(١) سورة النساء : آية ٦٠ .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدى ص١٣٣ - ١٣٥ ، أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين للشيخ عبدالفتاح القاضى ص٧٢ - ٧٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥١٩/١ .

(٤) سورة النساء : آية ٧٦ .

فى هذه الآية الكريمة عقد الله سبحانه وتعالى مقارنة بين أهداف الجهاد عند المسلمين وأغراض القتال عند المشركين ، وهى أن المؤمنين يقاتلون لأجل إعلاء كلمة الله ، كلمة الحق والتوحيد والعدل ، وأما الكافرون فهم يقاتلون لأغراض مادية دنيئة ، فهم إنما يرضون وسوسة الشيطان ، وإعلاء الوثنية ، ومناصرة الكفر .

قال ابن كثير فى الآية " أى المؤمنون يقاتلون فى طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون فى طاعة الشيطان ، ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله : ﴿ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١).

قال الزجاج " والطاغوت : الشيطان ، وكل معبود من دون الله فهو طاغوت ، والدليل على أن الطاغوت الشيطان قوله : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ " (٢).

وقال ابن عطية " والطاغوت : كل ما عبد واتبع من دون الله ، وتدل قرينة ذكر الشيطان بعد ذلك على أن المراد بـ (الطاغوت) هنا الشيطان " (٣).

وقال الشوكانى : " وتفسير الطاغوت هنا بالشيطان أولى لقوله ﴿ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ أى مكره ومكر من اتبعه من الكفار " (٤).

وفائدة إدخال (كان) فى قوله تعالى (كان ضعيفا) للتأكيد لضعف كيده ، يعنى أنه منذ كان موصوفاً بالضعف والذلة ، وقيل : هى بمعنى صار ، أى صار ضعيفا بالإسلام (٥).

٦- وفى سورة المائدة يقول تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ (٦) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٢٥/١ .

(٢) معانى القرآن ٧٨/٢ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/٥/٣ ، والآية من سورة النساء : آية ٦٠ .

(٣) المحرر الوجيز ٧٩/٢ .

(٤) فتح القدير ٤٨٧/١ .

(٥) انظر مفاتيح الغيب ٣١٧/٥ ، روح المعانى ٨٤/٥ .

(٦) سورة المائدة : آية ٦٠ .

قال الزجاج " الطاغوت : هو الشيطان ، وتأويل وعَبَدَ الطاغوت : أطاعه فيما سَوَّل له وأغراه به " (١).

وقال ابن عطية " الطاغوت : كل ما عبد من دون الله من وثن أو آدمى يرضى ذلك أو شيطان " (٢).

وقال الألوسى : " والمراد بالطاغوت – عند الجبائى – العجل الذى عبده اليهود ، وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – والحسن أنه الشيطان ، وقيل الكهنة وكل من أطاعوه فى معصية الله تعالى " (٣).

ولا شك أن العجل الذى عبدوه هو من صنعة شيطان الإنس ، بإيحاء من شيطان الجن الأكبر إبليس لعنه الله ، والكهنة أيضا من أتباعه وأوليائه ، فلا تنافى بين الأقوال .

والمعنى : قل يا محمد لأهل الكتاب الذين يستهزءون بدينكم ، ويقولون (لا نعلم شرا من دينكم) قل لهم هل أنبئكم بما هو شر من ذلك الدين الذى تعيبونه ، وتنقمون به علينا دين من لعنه الله وأبعده وطرده من رحمته وغضب عليه بسوء أفعاله ، ودين من جعل منهم القردة والخنازير غضبا منه عليهم وسخطا ، فجعل لهم الخزى والنكال فى الدنيا ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ **فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ (٥) ، وجعل منهم من صير الطاغوت معبودا من دون الله ، كالأصنام والشيطان والعجل ، فكانت عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان ، فصارت عبادتهم له عبادة للشيطان . أولئك المتصفون بما ذكر من المخازى والمعايب شر مكاناً مما تظنون بنا ، إذ لا مكان لهم فى الآخرة إلا النار . والتعبير بكلمتى (شر ..... وأضل) ليس للمفاضلة ، لأن هذا الدين خير محض ، وإنما هو من باب استعمال أفعل التفضيل

(١) معانى القرآن ٨٧/٢ ، وانظر الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٢٠٤/٢ ، فتح القدير ٥٥/٢ .
(٢) المحرر الوجيز ٢١٣/٢ .
(٣) روح المعانى ١٧٥/٦ .
(٤) سورة البقرة : آية ٦٥ .
(٥) سورة الأعراف : آية ٦٦ .

فيما ليس فى الطرف الآخر ، من قبيل المشاكلة للفظهم والمجاراة لهم فى اعتقادهم ، كقوله عز وجل : ﴿ **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا** ﴾ (١) .

٧- وفى سورة النحل يقول الله عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ (٢).

قال الواحدى النيسابورى " الطاغوت : الشيطان ، وكل من يدعو إلى الضلالة " (٣).

وقال القرطبى " أى اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم ، وكل من دعا إلى الضلال " (٤).

وتفسير الطاغوت بأنه الشيطان قوى جداً كما يقول الإمام الحافظ ابن كثير .

فى هذه الآية يبين – سبحانه – أن من رحمته بعباده ، أن أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ (٥) ، فقد بعث إليهم فى كل طائفة منهم رسولا لإقامة الحجة عليهم بأمرهم بالتوحيد ، وينهاهم عن الكفر ، فكل الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وسلم الذى كانت دعوته عامة للإنس والجن فى المشارق والمغارب ، يدعون إلى عبادة الله وحدة وينهون عن عبادة ما سواه ، فمنهم من هداه الله ووفقه فآمن وامتثل ، ومنهم من ثبتت وحقت عليه الضلالة ، لاستجابة العمى على الهدى ، وأمرهم أن يتأملوا فى آثار المكذبين ، لعلهم عن طريق هذا التأمل والتدبر يثوبون إلى رشدهم ، ويعودون إلى صوابهم ، ويدركون سنة من سنن الله فى خلقه ، وهى أن العاقبة السيئة للكافرين .

٨- وفى سورة الزمر يقول الله سبحانه : ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴾ (٦) .

(١) سورة الفرقان : آية ٢٤ .
(٢) سورة النحل : آية ٣٦ .
(٣) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٦٢/٣ ، مفاتيح الغيب ٥٢٢/١٨/٩ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧٥/١٠/٥ – ٧٦ ، بحر العلوم ٢٣٥/٢ ، روح المعانى ١٣٧/١٤ .
(٥) سورة النساء : آية ١٦٥ .
(٦) سورة الزمر : آية ١٧ .

فى الآية الكريمة يمدح الله تعالى عباده المؤمنين ، الذين اتبعوا تعاليمه وأعرضوا عن عبادة الأصنام والشيطان ، وأقبلوا على عبادة الله معرضين عما سواه ، هؤلاء لهم البشرى بالثواب الجزيل من الله تعالى ، إما على ألسنة رسله عليهم السلام ، أو حين الموت ، أو عند البعث ، وهى بشارة شاملة لمن نزلت الآية فى حقهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والآية كقوله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (١) .

والطاغوت : يطلق على الواحد والجمع ، ويشمل عبادة الأوثان والشيطان ، لأن الشيطان هو الآمر بتلك العبادة والمزيّن لها ، فهو سبب الكفر والعصيان .

قال الزجاج (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) " أى الذين اجتنبوا الشيطان أن يتبعوهم " (٢).

وقال ابن عطية " الطاغوت : كل ما يعبد من دون الله ، و (الطاغوت) أيضا : الشيطان ، وبه فسر هنا مجاهد والسدّى وابن زيد ، وأوقعه هنا على جماعة الشياطين، ولذلك أنث الضمير بعد " (٣).

وقال الألوسى " والذى يغلب على الظن أن الطاغوت فى الأصل مصدر نقل إلى البالغ الغاية فى الطغيان وتجاوز الحد ، واستعماله فى فرد من هذا المفهوم العام شيطانا كان أو غيره يكون حقيقة ويكون مجازا على ما قرروا فى استعمال العام فى فرد من أفراده ، كاستعمال الإنسان فى زيد ، وشيوعه فى الشيطان ليس إلا لكونه رأس الطاغين ، وفسره هنا بالشيطان مجاهد ، ويجوز تفسيرها بالشياطين جمعا ، ويؤيده قراءة الحسن (اجتنبوا الطواغيت) ، وعبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان إذ هو الآمر بها والمزين لها ، وإذا فسر الطاغوت بالأصنام فالأمر ظاهر " (٤).

---

(١) سورة يونس : آية ٦٤ .

(٢) معانى القرآن ٣٤٩/٤ .

(٣) المحرر الوجيز ٥٢٥/٤ ، وانظر الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٥٧٥/٣ ، الكشاف ٣٩٣/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/١٥/٨ .

(٤) روح المعانى ٢٥٢/٢٣ .

هذا ، وإذا كان لفظ الطاغوت يشمل الشيطان وغيره من الكهان والأصنام ، فقد جاء النهى صراحة عن عبادة الشيطان ، قال تعالى :﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

وعبادة بعض الناس للشيطان عبادة قديمة ، فقد كانت الشياطين تتمثل فى الأصنام التى كان يعبدها المشركون ، لتكون عبادتهم للأصنام عبادة للشياطين .

أخرج البخارى(٢) – بسنده – عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ " إذا طلع حاجب الشمس فأخّروا الصّلاة حتى ترتفع ، وإذا غاب حاجِبُ الشمس فأخّروا الصلاة حتى تغيب ، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها ، فإنها تطلع بين قرنى شيطان أو الشيطان " .

واخرج مسلم(٣) – بسنده – عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ لا تحرّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تَطْلعُ بقَرْنَى شيطان .

قال الإمام النووى فى شرحه الحديث " معناه أنه يدنى رأسه إلى الشمس فى هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له فى الصورة ، وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم ، فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها كما كرهت فى الأماكن التى هى مأوى الشيطان " (٤).

(٥) **الغرور (بفتح الغين)** :

وهو اسم من أسماء الشيطان ، يدل على الخديعة والاطماع بالباطل ، والشيطان يغر الإنسان ويوسوس له كثيرا .

قال الزجاج " الغَرور : الشيطان " (٥).

---

(١) سورة يس : آية ٦٠ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب مواقيت الصلاة – باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس ١٩١/١ رقم ٥٨٣ .

(٣) صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب الأوقات التى نهى عن الصلاة فيها ٤٧٤/١ رقم ٨٢٨ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى – الأوقات التى نهى عن الصلاة فيها ٠١١٢/٦/٢ .

(٥) معانى القرآن ٢٠٢/٤ .

وقال الراغب " الغَرور : كلُّ ما يَغُرُّ الإنسان من مَالٍ وجاهٍ وشهوة وشيطان ، وقد فُسر بالشيطان إذ هو أخبثُ الغارين ، وبالدنيا لما قيل الدُّنيا تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ " (١).

وقد ورد لفظ (الغرور) (بفتح الغين) فى القرآن الكريم فى ثلاث آيات :

١- فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (٢) .

قال السمرقندى قوله (ولا يغرنكم بالله الغرور) " يعنى لا يغرنكم الشيطان عن طاعة الله عز وجل ، ويقال : كل مضل هو شيطان ، وقال أهل اللغة : الغرور بنصب الغين هو الشيطان وبالضم أباطيل الدنيا " (٣).

وقال الألوسى " الغرور : أى الشيطان كما روى عن ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك بأن يحملكم على المعاصى بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة منه تعالى أو يذكر لكم أنها لا تضر من سبق فى علم الله تعالى موته على الإيمان وأن تركها لا ينفع من سبق فى العلم موته على الكفر ، وعن أبى عبيدة كل شئ غرك حتى تعصى الله تعالى وتترك ما أمرك سبحانه به فهو غرور شيطاناً أو غيره " (٤).

والمعنى (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى لا تخدعنكم زينة الدنيا ، فتطمئنوا فيها ، وتميلوا إليها ، تاركين الاستعداد للآخرة ، ولا يخدعنكم الشيطان بحلم الله وإمهاله ، فيعدكم بالمغفرة ، ويحملكم على المعصية بتزيينها لكم ، وينسيكم الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ (٥).

٢- وفى قوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (٦) .

وهذه الآية كآية آخر سورة لقمان : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ المراد بالغرور فيها : الشيطان .

---

(١) المفردات صـ ٣٥٩ ، لسان العرب ٣٢٣٣/٥ مادة غرر .

(٢) سورة لقمان : آية ٣٣ .

(٣) بحر العلوم ٢٦/٣ ، الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٤٤٧/٣ .

(٤) روح المعانى ١٠٨/٢١ ، الجامع لأحكام القرآن ٦١/١٤/٧ ، المحرر الوجيز ٣٥٦/٤ .

(٥) سورة النساء : آية ١٢٠ .

(٦) سورة فاطر : آية ٥ .

ومما يدل على أنه الشيطان أن الله عز وجل قال عقب آية فاطر : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (١) أى إن عداوة الشيطان لكم عداوة قديمة عامة ظاهرة ، فعادوه أنتم أشد العداوة ، وخالفوه وكذبّوه فيما يغركم به ، بطاعة الله ، ولا تطيعوه فى معاصى الله تعالى .

ثم ذكر الله تعالى أغراض الشيطان ومقاصده الخبيثة فقال : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ أى إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب النار الشديد الدائم .

جاء فى حديث عبدالله بن مسعود الذى أخرجه الترمذى(٢) عن النبى ﷺ : إن للشيطان لِمَّةً(٣) بابن آدم وللملك لِمَّةً فأما لِمَّةُ الشيطان فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق ، وأمَّا لِمَّةُ المَلَك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان .

٣- وفى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (٤).

قال الزجاج : قوله (وغركم بالله الغرور) " أى غركم الشيطان ، وهو الغرور على وزن الفَعُول ، وفعُول من أسماء المبالغة ، تقول : فلان أكول إذا كان كثير الأكل وضروب إذا كان كثير الضرب ، ولذلك قيل للشيطان : الغرور لأنه يغر ابن آدم كثيراً " (٥).

وقال الواحدى النيسابورى (وغركم بالله الغرور) " أى وغركم الشيطان بحلم الله وإمهاله " (٦).

---

(١) سورة فاطر : آية ٦ .

(٢) سنن الترمذى ٥٩/٢ ، الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للسيوطى ٩٥/١ وعزاه للترمذى والنسائى وابن حبان وقال : صحيح .

(٣) اللِمَّةَ : الخَطْرة التى تقع فى القلب المعجم الوسيط ٨٤٠/٢ .

(٤) سورة الحديد : آية ١٤ .

(٥) معانى القرآن ١٢٥/٥ .

(٦) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٢٤٩/٤ .

وقال ابن عطية " الغرور : الشيطان بإجماع من المتأولين " (١).

والمعنى : وغرتكم الأمانى الباطلة حيث قلتم : سيغفرُ لنا ، وغرتكم الدنيا وطول الأمل، حتى جاءكم الموت ، وخدعكم الشيطان حتى قال لكم : إن الله غفور رحيم لا يعذبكم .

(٦) **القرين** :

جاء ذكر القرين فى القرآن مراداً به الشيطان الذى يجعله الله تعالى قرينا لمن أعرض عن القرآن وما فيه من الحكم والمواعظ ، والهدى والرشاد ، والله عز وجل يعاقبه بشيطان يقيضه له ليزيده ضلالا على ضلاله ، ويجعله ملازماً له مقترناً به ، فلا يهتدى إلى خير أبداً ، جزاء وفاقاً له على اختياره الضلال ، وإعراضه عن ذكر الرحمن ، قال تعالى : **﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ{٣٦} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ {٣٧} حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ {٣٨} وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾** (٢) .

ومعنى الآيات : أى ومن يتعامَ ويتغافل ويعرض عن النظر فى القرآن والعمل به ، نهيئ له شيطاناً يوسوس له ويغويه ، فهو له ملازم لا يفارقه ، بل يتبعه فى جميع أموره، ويطيعه فى كل ما يزين له به (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) والضمير فى قوله (وإنهم عائد على الشياطين ، وفى (يصدونهم) على الكفار ، و(السبيل) هى سبيل الهدى والفوز ، والضمير فى (يحسبون) للكفار .

قال ابن جرير الطبرى : قوله (وإنهم ليصدونهم .....) " أى وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله عن سبيل الحق ، فيزينون لهم الضلالة ، ويكرهون إليهم الإيمان بالله والعمل بطاعته (ويحسبون أنهم مهتدون) أى يظن هؤلاء

---

(١) المحرر الوجيز ٢٦٣/٥ ، وانظر بحر العلوم ٣٢٥/٣ ، مفاتيح الغيب ٣٨٣/١٥ ، محاسن التأويل ٥٦٨٤/١٥ ، التحرير والتنوير ٣٨٧/٢٧ .

(٢) سورة الزخرف : آية ٣٦ – ٣٩ .

المشركون بالله بتزيين الشيطان لهم ما هم عليه أنهم على الصواب والهدى " (١).

(حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) أى حتى إذا وافانا الكافر يوم القيامة ، يتبرم بالشيطان الذى وكل به ، ويتبرأ منه ، ويتمنى الكافر أن بينه وبين الشيطان المقارن له من البعد ما بين المشرق والمغرب ، فبئس الصاحب الملازم للإنسان شيطانه .

قرأ نافع وابن كثير وعاصم فى رواية أبى بكر ، وابن عامر وأبو جعفر وشيبة وقتادة والزهرى والجحدرى (حتى إذا جاءانا) على التثنية ، أى الكافر والشيطان المقارن له، وقرأ أبو عمرو والحسن وابن محيصن والأعمش وعاصم وحمزة والكسائى (جاءنا) بالإفراد ، أى الكافر ، أو كل واحد منهما (٢).

ويقال لهم يوم القيامة توبيخاً كما حكى تعالى : **﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾** أى ويقال لهم فى الآخرة توبيخاً وتأنيباً وتيئيساً : لن ينفعكم فى هذا إذ تبين أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا اشتراككم فى العذاب ، فلا يخفف عن كل منكما شئ منه ، بخلاف حال الدنيا ، فإن المصيبة فيها إذا عمت هانت ، وهذا يدل على أن حصول الشركة فى العذاب لا يفيد التخفيف ، كما كان يفيده فى الدنيا ، لأن اشتغال كل واحد بنفسه فى شدة العذاب ، يذهله عن حال الآخر فلا تفيد الشركة الخفة، ولا يتمكن كل واحد من مواساة الآخر فى كربه وحزنه وألمه ، فلكل قدر مشترك من العذاب (٣).

وقد ذم الله تعالى هذا القرين فقال سبحانه : **﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾**(٤) أى إنما حملهم على صنيعهم القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الصحيح : الشيطان ، فإنه سوَّل لهم وحسَّن لهم القبائح والمعاصى المؤدية إلى النار .

---

(١) جامع البيان ٤٤/٢٥ بتصرف يسير ، محاسن التأويل ٥٢٧٣/١٤ .

(٢) انظر الحجة للقراء السبعة ١٥٠/٦ – ١٥١ ، التذكرة فى القراءات الثمان ٥٤٥/٢ ، المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ٢٢٩/٣ .

(٣) انظر روح البيان ٣٧٢/٨ ، فتح القدير ٥٥٧/٤ ، روح المعانى ٨٢/٢٥ ، محاسن التأويل ٥٢٧٣/١٤ .

(٤) سورة النساء : آية ٣٨ .

وقد ثبت فى الصحيح أن لكل إنسان قرين من الجن يلازمه أخرج الإمام مسلم[١] - بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ " ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن " قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال " وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمُرُنى إلا بخير " .

وأخرج مسلم[٢] - أيضا - بسنده - عن عروة أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت فغِرْتُ عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال " مالكِ يا عائشة أغِرْت ؟ " فقلت : ومالي لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال رسول الله ﷺ " أقد جاءكِ شيطانك ؟ " قالت : يا رسول الله أوَ مَعى شيطان ؟ قال " نعم " قلت : ومع كل إنسان؟ قال " نعم " قلتُ : ومعك يا رسول الله قال " نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم " .

وظاهر الأحاديث أن القرين من شياطين الجن يمكن أن يسلم .

فهل ذلك ممكن ؟ خلاف بين العلماء .

قال الإمام النووى فى شرحه للحديث " فأسلمُ برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال معناه : أسلمُ أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال إن القرين أسلمَ من الإسلام وصار مؤمنا لا يأمرنى إلا بخير ، واختلفوا فى الأرجح منهما ، فقال الخطابى : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضى عياض الفتح وهو المختار لقوله ﷺ (فلا يأمرنى إلا بخير) واختلفوا على رواية الفتح : قيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا فى غير صحيح مسلم فاستسلم ، وقيل معناه صار مسلماً مؤمناً وهذا هو الظاهر [٣]، قال القاضى : واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبى ﷺ من

---

(١) صحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا ١٧١٩/٤ رقم ٢٨١٤ .

(٢) المرجع السابق والكتاب والباب والجزء والصفحة .

(٣) هذا بالنسبة لأى شيطان آخر من شياطين الجن غير إبليس ، أما إبليس فلن يسلم ، ويموت على الكفر ، ويدخل النار ، لقوله تعالى (لأملان جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) سورة ص : آية ٨٥ .

الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه ، وفى هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فأعلمنا به معنا لنحترز منه بحسب الإمكان " [١].

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ [٢] أى وسلطنا عليهم قرناء من شياطين الإنس والجن ، فحسَّنوا لهم أعمالهم فى الماضى والمستقبل ، وزيَّنُوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها ، وأغروهم بالمعاصى، وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة ، فقالوا : لا بعث ولا حساب ، ولا جنة ولا نار، فلم يروا أنفسهم إلا محسنين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ {٣٦} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ {٣٧}** ﴾ [٣] .

قال الإمام الشوكانى : قوله (وقيضنا لهم قرناء .....) " أى هيأنا لهم قرناء من الشياطين، وقال الزجاج : سببنا لهم قرناء حتى أضلوهم ، وقيل : سلطنا عليهم قرناء، وقيل قدرنا ، والمعانى متقاربة ، وأصل التقييض التيسير والتهيئة ، والقرناء جمع قرين ، وهم الشياطين ، جعلهم بمنزلة الأخلاء لهم ، وقيل : إن الله قيض لهم قرناء فى النار ، والأولى أن ذلك فى الدنيا (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) فإن المعنى : زينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها ، وحملوهم على الوقوع فى معاصى الله بانهماكهم فيها ، وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة فقالوا : لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ، وقال الزجاج : ما بين أيديهم ما عملوه ، وما خلفهم ما عزموا على أن يعملوه " [٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا ١٥٧/٧ – ١٥٨ ، وانظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض – فصل (فى إجماع الأمة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان) ٧٣٥/٢ – ٧٣٧ .

(٢) سورة فصلت : آية ٢٥ .

(٣) سورة الزخرف : آية ٣٦ – ٣٧ .

(٤) فتح القدير ٥١٣/٤ – ٥١٤ ، وانظر معانى القرآن ٣٨٤/٤ ، مفاتيح الغيب ٦٢٧/١٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/١٥/٨ .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (١) فقد اختلف المفسرون فى بيان المراد بالقرين فى الآية .

١- فقيل : إنه المَلَك الموكّل بالإنسان الذى يسوقه إلى المحشر (أى هو السائق الشهيد) ، وهذا منسوب للحسن وقتادة والضحاك ، وهذا يقتضى أن يكون القرين فى قوله : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ (٢) ، بمعنى غير معنى القرين فى قوله :﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ .

٢- وروى عن مجاهد : أن القرين شيطان الكافر الذى كان يزين له الكفر فى الدنيا ، أى الذى ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ (٣) .

٣- وقال ابن زيد فى رواية ابن وهب عنه : أن قرينه صاحبه من الإنس ، أى الذى كان قرينه فى الدنيا(٤).

٤- وقال جماعة من المفسرين (قرينه) من زبانية جهنم ، أى قال هذا العذاب الذى لدىّ لهذا الإنسان الكافر حاضر عتيد ، ففى هذا تحريض على الكافر واستعجال به (٥).

وقال القاسمى قوله (وقال قرينه) " أى قرين هذا الإنسان الذى جئ به يوم القيامة معه سائق وشهيد ، وهو إما الملك الموكل عليه فى الدنيا لكتابة أعماله ، وهو الرقيب المتقدم ، أو الشيطان الذى قيض له مقارناً يغويه ، وهو الأظهر " (٦).

كما اختلفوا أيضا فى المراد بالقرين فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (٧) " .

---

(١) سورة ق : آية ٢٣ .
(٢) سورة ق : آية ٢٧ .
(٣) سورة فصلت : آية ٢٥ .
(٤) انظر الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ١٦٧/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٧/٩ ، فتح القدير ٧٦/٥ ، التحرير والتنوير ٣١٠/٢٦ .
(٥) المحرر الوجيز ١٦٣/٥ .
(٦) محاسن التأويل ٥٥٠٣/١٥ .
(٧) سورة ق : آية ٢٧ .

قال النيسابورى : قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾.

" يعنى شيطانه ، وهذا منسوب إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك " (١).

وقال ابن عطية : " هو شيطانه فى الدنيا ومغويه بلا خلاف " (٢).

وقال الشوكانى " والمراد بالقرين هنا الشيطان الذى قيض لهذا الكافر ، أنكر أن يكون أطغاه ، ثم قال (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن الحق فدعوته فاستجاب لى ، ولو كان من عبادك المخلصين لم أقدر عليه " (٣).

وقيل : إن قرينه الملك الذى كان يكتب سيئاته وأن الكافر يقول : ربّ إنه أعجلنى فيجيبه بهذا ، كذا قال مقاتل وسعيد بن جبير (٤).

والأول أولى .

وكأن الكافر يريد الاعتذار قائلا: يا رب إن قرينى أطغانى فأجاب القرين الذى قيض له وهو الشيطان (ربنا ما أطغيته) . وهذا اعتراف بالحقيقة ، كما قال الشيطان فى آية أخرى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) .

كما اختلفوا أيضا فى المراد بالقرين فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (٦) .

فقال بعضهم : كان ذلك القرين شيطاناً وهو الذى كان يقول له أئنك لمن المصدقين بالبعث بعد الممات ، كذا قال مجاهد (٧).

---

(١) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ١٦٧/٤ ، وانظر جامع البيان ١٠٤/٢٦/١١ ، تفسير القرآن العظيم ٢٢٦/٤ .
(٢) المحرر الوجيز ١٦٣/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٧/٩ .
(٣) فتح القدير ٧٧/٥ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٧/٩ ، فتح القدير ٧٧/٥ .
(٥) سورة إبراهيم : آية ٢٢ .
(٦) سورة الصافات : آية ٥١ .
(٧) جامع البيان ٣٨/٢٣/١٠ ، تفسير القرآن العظيم ٨/٤ ، الدر المنثور ٩٠/٧ .

وقال ابن عباس – رضى الله عنهما – قوله : (قال قائل منهم إنى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين) قال هو الرجل المشرك يكون له الصاحب فى الدنيا من أهل الإيمان فيقول له المشرك إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا تراباً فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة وأدخل المشرك النار فاطلع المؤمن فرأى صاحبه فى سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين [١].

قال ابن كثير " ولا تنافى بين كلام مجاهد وابن عباس – رضى الله عنهما – فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس فى النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان ، قال الله تعالى : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [٢] ، وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل: ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {٤} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {٥} مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ {٦} ﴾ [٣] ، ولهذا (قال قائل منهم إنى كان لى قرين . يقول أئنك لمن المصدقين) أى أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعنى يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد " [٤].

والقرين فى اللغة معناه أوسع مما ذكره المفسرون فى الآيات .

قال ابن منظور " والقرين : المصاحب ، والقرينان : أبو بكر وطلحة رضى الله عنهما، لأن عثمان بن عبيد الله ، أخا طلحة ، أخذهما فقرنهما بحبل فلذلك سميا القرينين ، وورد فى الحديث : أن أبا بكر وعمر يقال لهما القرينان ، وفى الحديث : ما من أحد إلا وُكِّل به قرينه أى مصاحبه من الملائكة والشياطين ، وكل إنسان ، فإن معه قرينا منهما ، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه ، والقرين يكون فى الخير والشر " [٥].

---

(١) جامع البيان ٣٨/٢٣/١٠ ، الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٥٢٦/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥/٨ ، تفسير القرآن العظيم ٨/٤ ، التحرير والتنوير ١١٦/٢٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١١٢ .

(٣) سورة الناس : آية ٤ – ٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/٤ .

(٥) لسان العرب ٣٦١٠/٥ مادة قرن ، المعجم الوسيط ٧٣١/٢ .

من صفات الشيطان :

كما أن الله عز وجل قد بين لنا أسماء الشيطان فى القرآن ، كذلك بين لنا صفاته الخبيثة ، وأفعاله السيئة ، وأساليبه فى الوسوسة ، والإغواء ، والتزيين ، والإضلال ، لنعلم حقيقته ، فنحذره .

وفيما يلى بيان لبعض صفاته التى ذكرها الله فى القرآن صراحة أو التى يمكن أن نستنبطها من حديث القرآن عنه .

(١) **الإبـــاء :**

وهو مستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١] .

فالله سبحانه وتعالى لما استثنى إبليس من الساجدين ، فكان يجوز أن يظن أنه كان معذوراً فى ترك السجود ، فبين تعالى أنه لم يسجد مع القدرة وزوال العذر بقوله تعالى (أبى) لأن الإباء هو الامتناع مع الاختيار ، أما من لم يكن قادراً على الفعل لا يقال له إنه أبى .

قال أبو السعود " والإباء : الامتناع بالاختيار " [٢].

وقال الألوسى : " والإباء : الامتناع مع الأنفة والتمكن من الفعل ، ولهذا كان قولك أبى زيد الظلم أبلغ من لم يظلم " [٣].

وقال القرطبى قوله (أبى) " معناه امتنع من فعل ما أمر به " [٤].

ومنه الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم[٥] – بسنده – عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله – وفى رواية أبى كريب يا ويلى – أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار " .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٤ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٨٩/١ .

(٣) روح المعانى ٢٣١/١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١ .

(٥) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ٨٥/١ رقم٨١، سنن ابن ماجه – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب سجود القرآن ٣٣٤/١ رقم ١٠٥٢.

فاللعين إبليس – أبى امتثال أمر ربه بالسجود لآدم أنفة واستعظاماً لنفسه مع قدرته على الفعل .

(٢) الاستكبار :

وهو مستفاد – أيضا – من الآية السابقة .

قال الراغب " الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب ، فالكبر : الحالة التى يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره ، والتكبر : التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة ، والاستكبار : أن يتشبع فيَظْهِر من نفسه ما ليس له ، وهذا هو المذموم ، وعلى هذا ما ورد فى القرآن ، وهو ما قال تعالى (أبى واستكبر) [١].

وقال الطاهر بن عاشور " الاستكبار : شدة الكبر والسين والتاء فيه للعد ، أى عد نفسه كبيرا مثل استعظم واستعذب الشراب ، أو يكون السين والتاء للمبالغة مثل استجاب واستقر ، فمعنى استكبر : اتصف بالكبر ، والمعنى : أنه استكبر على الله بإنكار أن يكون آدم مستحقا لأن يسجد هو له إنكاراً عن تصميم لا عن مراجعة أو استشارة كما دلت عليه آيات أخرى مثل قوله : ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾[٢]...

والاستكبار : التزايد فى الكبر ، لأن السين والتاء فيه للمبالغة لا للطلب ، ومن لطائف اللغة العربية أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجئ منها إلا بصيغة الاستفعال أو التفعيل إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلباً الكبر أو متكلفا له وما هو بكبير حقاً " [٣].

وحقيقة الكبر قال فيها حجة الإسلام " الكبر خلق فى النفس وهو الاسترواح والركون إلى اعتقاد المرء نفسه فوق التكبر عليه ، فإن الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به ، وبذلك ينفصل الكبر عن العجب ، فإن العجب لا يستدعى غير المعجب ولا يكفى أن يستعظم المرء نفسه ليكون متكبرا فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من

---

(١) المفردات ص ٤٢١ كتاب الكاف بتصرف يسير ، وانظر روح المعانى ٢٣١/١ .

(٢) سورة ص : آية ٧٦ .

(٣) التحرير والتنوير ٤٢٥/١ .

نفسه أو مماثلاً لها ، فلا يتكبر عليه ، ولا يكفى أن يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر ، بل أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره ، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل خلق الكبر وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل فى نفسه اعتداد وعزة وفرح وركون إلى ما اعتقد ، وعز فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون إلى تلك العقيدة هو خلق الكبر " [١].

وعن هذا الكبر ، أخرج الإمام مسلم[٢] – بسنده – عن عبدالله بن مسعود عن النبى ﷺ قال " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر " قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . قال " إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق[٣] وغمْط الناس "[٤] .

وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾[٥]، وقال سبحانه : ﴿ **أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** ﴾ [٦] ، وقال عز وجل : ﴿ **لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ [٧]، فكفَّره الله بذلك ، فكل من سفَّه شيئا من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله عليه السلام كان حُكْمُه حُكْمَه ، وهذا ما لا خلاف فيه .

وقدم الإباء فى الآية على الاستكبار وإن كان الاستكبار هو الأول ، لأنه من أفعال القلوب وهو التعاظم وينشأ عنه الإباء من السجود اعتباراً بما ظهر عنه أولاً وهو الامتناع من السجود ، ولأن المأمور به هو السجود ، فلما استثنى إبليس كان محكوما عليه بأنه ترك السجود أو بأنه مسكوت عنه غير محكوم عليه ، والمقصود الاخبار

---

(١) إحياء علوم الدين ٤١٨/٣ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإيمان –باب تحريم الكبر وبيانه ٨٩/١ رقم ٩١ .

(٣) بطر الحق : ألا يراه حقا ويتكبر عن قبوله وغير ذلك لسان العرب ٣٠٠/١ .

(٤) غَمْط الناس : احتقارهم والإزدراء بهم وما أشبه ذلك لسان العرب ٣٣٠٠/٥ مادة غمط .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٢ .

(٦) سورة الإسراء : آية ٦١ .

(٧) سورة الحجر : آية ٣٣ .

عنه بأنه خالف حاله حال الملائكة فناسب أن يبدأ أولاً بتأكيد ما حكم به عليه فى الاستثناء ، أو بإنشاء الاخبار عنه بالمخالفة والذى يؤدى هذا المعنى هو الإباء من السجود [١].

(٣) **الكفر** :

وهو مستفاد – أيضا – من الآية السابقة ، ومن قوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾ [٢].

قال الراغب " الكفر فى اللغة ستر الشئ ، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص ، والزَّرَّاع لستره البذر فى الأرض ، وليس ذلك باسم لهما ، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها ، قال تعالى : ﴿ **فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ** ﴾ [٣] وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة ، والكفران فى جحود النعمة أكثر استعمالا ، والكفر فى الدين أكثر الكُفُور فيهما جميعا ، والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها ، وقد يقال كفر لمن أخل بالشريعة وترك ما لزمه من شكر الله عليه ، والكَفُور المبالغ فى كُفران النعمة ، وقوله﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ فمن الكفر ، ونبه بقوله (كان) أنه لم يزل منذ وُجد منطوياً على الكفر " [٤].

وكان على بابها ، والمعنى : كان فى علم الله تعالى من الكافرين ، أو كان من القوم الكافرين الذين كانوا فى الأرض قبل خلق آدم ، وقيل : كان هنا بمعنى صار ، وهو مما أثبته بعض النحاة ، وقال ابن فورك (كان) هنا بمعنى صار خطأ ترده الأصول[٥].

(١) انظر البحر المحيط ١٥٣/١ – ١٥٤ ، إرشاد العقل السليم ٨٩/١ ، الفتوحات الإلهية ٤١/١ .
(٢) سورة الإسراء : آية ٢٧ .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٩٤ .
(٤) المفردات ص٤٣٣ – ٤٣٤ مختصرا .
(٥) يراجع فى هذا المحرر الوجيز ١٢٧/١ ، مفاتيح الغيب ٦٨٤/١ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١/١ ، إرشاد العقل السليم ٨٩/١ ، روح المعانى ٢٣١/١ ، محاسن التأويل ١٠٤/٢/١ .

وقال الطاهر بن عاشور " وكان لا تفيد إلا أنه اتصف بالكفر فى زمن مضى قبل نزول الآية ، وليس المعنى أنه اتصف به قبل امتناعه من السجود لآدم ، وقد تحير أكثر المفسرين فى بيان معنى الآية من جهة حملهم فعل (كان) على الدلالة على الاتصاف بالكفر فيما مضى عن وقت الامتناع من السجود ، ومن البديهى أنه لم يكن يومئذ فريق يوصف بالكافرين فاحتاجوا أن يتمحلوا بأن إبليس كان من الكافرين أى فى علم الله ، وتمحل بعضهم بأن إبليس كان مظهرا الطاعة مبطنا الكفر نفاقا ، والله مطلع على باطنه ولكنه لم يخبر به الملائكة وجعلوا هذا الاطلاع عليه مما أشار إليه قوله تعالى : (إنى أعلم مالا تعلمون) وكل ذلك تمحل لا داعى إليه لما علمت من أن فعل المضى يفيد مضى الفعل قبل وقت التكلم ، وأمثلهم طريقة الذين جعلوا كان بمعنى صار فإنه استعمال من استعمال فعل كان ، قال تعالى : ﴿ **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ [١]، وقال : ﴿ **وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا {٥} فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا {٦}** ﴾ [٢]... ثم قال : والذى أراه أحسن الوجوه فى معنى (وكان من الكافرين) أن مقتضى الظاهر أن يقول (وكفر) كما قال (أبى واستكبر) فعدل عن مقتضى الظاهر إلى (وكان من الكافرين) لدلالة كان فى مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر فى اسمها ، والمعنى أبى واستكبر وكفر كفرا عميقا فى نفسه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [٣] ، وكقوله تعالى : ﴿ **نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [٤] ، دون أن يقول أم لا تهتدى لأنها إذا رأت آية تتكير عرشها ولم تهتد كانت راسخة فى الاتصاف بعدم الاهتداء " [٥].

(١) سورة هود : آية ٤٣ .
(٢) سورة الواقعة : آية ٥ – ٦ .
(٣) سورة الأعراف : آية ٨٣
(٤) سورة النمل : آية ٤١ .
(٥) التحرير والتنوير ١/ ٤٢٦ – ٤٢٧ .

وأحب أن ألفت الأنظار إلى أن الله عز وجل ذكر هذه الصفات السيئة التى اتصف بها إبليس اللعين على وجه الاجمال فى سورة البقرة ، فقال تعالى : ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

ثم ذكرها على وجه التفصيل فى السور الأخرى ، فقال فى الأعراف ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٢) وفى الحجر ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٣)، وفى الإسراء ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٤) وفى الكهف ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (٥) ، وفى طه ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ (٦) ، وفى ص ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧) .

ولم يذكر الكرمانى علة الإجمال والتفصيل هنا ، ولكن محقق كتاب البرهان ذكر العلة فقال " إن هذه قضية تتعلق بالعقيدة ، وكل ما كان من أصول العقيدة فى القرآن بدئ فيه بالكلى ، ثم بالجزئيات ، إلزاماً لصيانة الاعتقاد ، وكل ما هو من أصول التشريع جاء تدريجيا ، من الجزئى إلى الكلى " (٨).

قال العلامة الألوسى فى تفسير آية الأعراف " وذكر قوله تعالى (لم يكن من الساجدين) أى ممن سجد لأدم عليه السلام ، مع أنه علم من الاستثناء عدم السجود ، لأن المعلوم من الاستثناء عدم العموم – لا عموم العدم – والمراد الثانى – أى أنه لم يصدر منه السجود مطلقا لا معهم ولا منفردا ، وهذا إنما يفيده التنصيص كذا قيل ... ثم قال : ويمكن أن يقال فى الجواب : إن المقام لما كان مقام التسجيل على إبليس بعدم السجود ، والتشهير والتوبيخ بتلك القبيحة الهائلة كان خليقا بالتصريح جديرا بالاحتياط، لضعف التعويل على القرينة ، لائقا بكمال الإيضاح والتقرير ، فعدل عن طريق

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٤ .
(٢) سورة الأعراف : آية ١١ .
(٣) سورة الحجر : آية ٣١ .
(٤) سورة الإسراء : آية ٦١ .
(٥) سورة الكهف : آية ٥٠ .
(٦) سورة طه : آية ١١٦ .
(٧) سورة ص : آية ٧٤ .
(٨) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص٢٦ هامش ٣ .

الحذف وإن كان الكلام دالاً على المحذوف إلى منهج الذكر والتصريح به ، وذهب ابن الكمال إلى أن هذه الجملة إنما جئ بها لانقطاع الاستثناء ، وأنه لو كان الاستثناء متصلاً يكون الاتيان بها ضائعا لأن عدم كون إبليس من الساجدين يفهم من الاستثناء على تقدير اتصاله " (١).

وتبين آية الحجر أن إبليس أبى السجود لآدم من بين سائر الملائكة ، حسدا وكفرا ، وعنادا واستكبارا ، وافتخارا بالباطل ، فقوله تعالى (أن يكون من الساجدين) بيان لقوله فى سورة البقرة (واستكبر) لأنه أبى أن يسجد وأن يساوى الملائكة فى الرضى بالسجود ، فدل هذا على أنه عصى وأنه ترفع عن متابعة غيره .

وتضيف آية الإسراء أنه اعترض على الخالق جل وعلا ، ورد الأمر على الآمر ، وأنكر عليه أن يأمره بالسجود لمن هو أقل منه شأناً – فى زعمه – ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهذا استفهام بمعنى الإنكار معناه أن أصلى أشرف من أصله ، فوجب أن أكون أنا أشرف منه .

وقد صرح اللعين بأنه خير من آدم كما حكى القرآن عنه قائلا ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (٢) متذرعا بقوله ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (٣) ، وقوله ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ (٤) .

وقد تضمن دفاع إبليس وسبب امتناعه عن السجود لآدم بأنه خير منه ، فإنه خلق من النار ، وآدم من الطين ، وفى النار عنصر الارتفاع والسمو ، وفى التراب عنصر الخمود والركود ، فهى أشرف من الطين ، والأعلى لا يعظم الأدنى ، وذلك قياس فاسد ، لأن خيرية المادة لا تعنى خيرية العنصر ، بدليل أن الملائكة من نور ، والنور خير من النار ، ثم إنه عصيان أمر الخالق .

---

(١) روح المعانى ٨٧/٨ بتصرف يسير .
(٢) سورة الحجر : آية ٣٣ .
(٣) سورة ص : آية ٧٦ .
(٤) سورة الإسراء : آية ٦٢ .

أما آية (الكهف) فقد بينت أن الملائكة أذعنوا كلهم جميعا لأمر السجود فسجدوا إلا إبليس الذى كان من عنصر الجن أبى السجود وفسق عن أمر ربه وخرج عن طاعة الله تعالى .

وجاءت آية (طه) مقتصرة على الإباء (إلا إبليس أبى) أى فسجدوا إلا إبليس امتنع واستكبر ورفض المشاركة فى السجود ، لأنه كان حسودا ، فلما رأى آثار نعم الله تعالى فى حق آدم عليه السلام حسده ، فصار عدوا له ، كما قال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (١) .

وذكرت آية (ص) الاستكبار والكفر ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ أى سجد الملائكة كلهم إلا إبليس امتنع مستكبرا متعاظماً ولم يكن من الساجدين ، جهلا منه بأنه طاعة ، وكان استكباره استكبار كفر ، فصار من الكافرين بمخالفة أمر الله وأنفته من السجود واستكباره عن طاعة الله ، أو إنه كان من الكافرين فى علم الله ، فسبحان من كان هذا كلامه ، وما أروع وما أحسن هذا الإجمال وذاك التفصيل .

(٤) **الفسق** :

فسق يفسُقُ ويفْسِق فسقا – بالكسر – وفسوقا : فجَر ، وخرج عن الحق ، وترك امتثال أمر الله ، ورجل فُسَق وفِسِّيق : دائم الفسق ، وفسقت الرُّطبة : خرجت عن قشرها ، والفسق أعم من الكفر ، ويقع على كثير الذنب وقليلة ، لكن تُعُورِف فيما كان كثيرا ، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرَّبه ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه ، وإذا قيل للكافر الأصلى فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة السليمة، قال تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢)، وقال عز وجل : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣).

والفسق أعم من الكفر ، فقد يكون فاسقا ولا يكون كافرا كالمسلم العاصى ، قال تعالى: ﴿ إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ (٤) أجمعوا على أنها نزلت فى الوليد بن عقبة بعثه ا

---

(١) سورة طه : آية ١١٧ .

(٢) سورة النور : آية ٥٥ .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٧ .

(٤) سورة الحجرات : آية ٦ .

رسول الله ﷺ ليجمع الزكاة من بنى المصطلق فركبوا ليستقبلوه فخافهم ، ورجع فأخبر أنهم منعوا الزكاة ، فلما ذهب إليهم خالد بن الوليد سلموا إليه الصدقات (١).

وقد صدقت الآية فى الوليد بأنه فاسق ، فقد شرب الخمر وهو والٍ على الكوفة فى عهد عثمان – رضى الله عنه – فعزله وأقام عليه الحد ، وهو من أقارب عثمان الذين آثرهم بالولاية فأخذ عليه ذلك .

قال ابن منظور " الفِسْقُ : العصيانُ ، والترك لأمر الله عز وجل ، والخروج عن طريق الحق ، وقيل : الفسوق الخروج عن الدين ، وكذلك الميل إلى المعصية ، كما فسق إبليس عن أمر ربِّه " (٢).

وقد وصف الله عز وجل إبليس بأنه ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٣) أى فخرج عن امتثال أمر ربه له بالسجود لآدم عليه السلام ، فإن الفسق هو الخروج .

قال أبو حيان " والفاء للتسبيب جعل كونه من الجن سببا فى فسقه يعنى أنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون ألبتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس " (٤).

وقال الألوسى " والفاء سببية عطفت ما بعدها على قوله تعالى (كان من الجن) وأفادت تسبب فسقه عن كونه من الجن إذ شأنهم التمرد لكدورة مادتهم وخباثة ذاتهم ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾ (٥) وإن كان منهم من أطاع وآمن وجوز أن يكون العطف على ما يفهم من الاستثناء ، كأنه قيل : فسجدوا إلا إبليس أبى عن السجود ففسق ، وتفيد حينئذ تسبب فسقه عن إبائه وتركه السجود " (٦).

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدى النيسابورى ص٣٣٢ .

(٢) لسان العرب ٣٤١٤/٥ مادة فسق .

(٣) سورة الكهف : آية ٥٠ .

(٤) البحر المحيط ١٣٦/٦ ، روح البيان ٢٥٥/٥ .

(٥) سورة الأعراف : آية ٥٨ .

(٦) روح المعانى ٢٩٤/١٥ .

(٥) اللعن :

وهو الطرد والإبعاد ، لعنه فهو لعين وملعون .

قال الراغب " اللعن : الطرد والإبعاد على سبيل السَّخَط وذلك من الله تعالى فى الآخرة عقوبة وفى الدنيا انقطاعٌ من قبل رحمته وتوفيقه ، ومن الإنسان : دعاء على غيره "(١).

وقال ابن منظور " واللعن : الإبعاد والطرد من الخير ، وقيل : الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء ، واللعين : الشيطان ، صفة غالبة ، لأنه أبعد من رحمة الله " (٢).

قال الله عز وجل فى لعنه لإبليس ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) ، فلعنة الله عليه إبعاده من رحمته ، وليست إضافتها إليه تعالى متعارضة مع إطلاقها فى قوله فى آية أخرى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٤) لأن لعنة الملائكة والثقلين له تكون من جهته تعالى ، فإنهم يدعون عليه بلعنة الله وطرده من رحمته .

وليس امتداد اللعنة مؤقتا بيوم الدين أى يوم الجزاء ، فإنه سيلقى هناك جزاء الظالمين، المدلول عليه بقوله تعالى : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) .

والمراد امتداد عقوبة اللعنة إلى يوم الدين ، وحين تقوم القيامة ينضم إلى اللعنة ألوان كثيرة من العذاب ، فاللعنة مستمرة ويزيد عليها العذاب فى يوم الجزاء .

قال الكرمانى " قوله فى سورة الحجر لإبليس ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ (٦) بالألف واللام ، وفى (ص) ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي ﴾ (٧) بالإضافة ، لأن الكلام فى سورة الحجر جرى على الجنس من أول القصة فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴾ (٨) وقوله سبحانه : ﴿ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ ﴾ (٩) وقوله عز وجل : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ ﴾ (١) ، كذلك قال :

---

(١) المفردات ص٤٥٠ كتاب اللام ، التعريفات للجرجانى ص٢٤٧ .

(٢) لسان العرب ٤٠٤٤/٥ مادة لعن .

(٣) سورة ص : آية ٧٨ .

(٤) سورة الحجر : آية ٣٥ .

(٥) سورة الأعراف : آية ٤٤ .

(٦) سورة الحجر آية ٣٥ .

(٧) سورة ص : آية ٧٨ .

(٨) سورة الحجر : آية ٢٦ .

(٩) سورة الحجر : آية ٢٧ .

﴿ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ ، وفى (ص) : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (٢) فختم بقوله : ﴿ عَلَيْكَ لَعْنَتِي ﴾(٣) " .وقال السمين الحلبى " وقال هنا (لعنتى) وفى غيرها (اللعنة) وهما وإن كانا فى اللفظ عامّاً وخاصاً ، إلا أنهما من حيث المعنى عامّان بطريق اللازم ، لأن من كانت عليه لعنه الله كانت عليه لعنة كلِّ أحد لا محالة ، وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ " (٤)(٥).

فإن قلت : كلمة (إلى) لانتهاء الغاية فتقتضى انقضاء اللعنة عنه عند مجئ يوم الدين مع أنها لا تنقطع ؟ .

قلت : معناه أن اللعنة باقية عليه فىالدنيا فإذا كان يوم القيامة زيد له على اللعنة أنواع من العذاب بحيث تنسى اللعنة بذلك فكأنها انقطعت عنده(٦) .

وقال الطاهر بن عاشور " واللعنة : الإبعاد من رحمة الله ، وأضيفت إلى الله لتشنيع متعلقها وهو الملعون ، لأن الملعون من جانب الله هو أشنع ملعون ، وجعل (يوم الدين) غاية للعنة للدلالة على دوامها مدة هذه الحياة كلها ليستغرق الأزمنة كلها ، وليس المراد حصول ضد اللعنة له يوم الدين أعنى الرحمة ، لأن يوم الدين يوم الجزاء على الأعمال ، فجزاء الملعون العذاب الأليم كما أنبأ بذلك التعبير بـ(يوم الدين) دون : يوم يبعثون ، أو يوم الوقت المعلوم " (٧).

وقال تعالى فى لعنه أيضا : ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدً*لعنه الله ﴾ (٨) .

قال القرطبى " يريد إبليس ، لأنهم إذا أطاعوه فيما سوّل لهم فقد عبدوه ، ونظيره فى المعنى ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (٩) أى أطاعوهم فيما

---

(١) سورة الحجر : آية ٣٠ .

(٢) سورة ص : آية ٧٥ .

(٣) البرهان فى متشابه القرآن ص١٠٨ ، الفتوحات الإلهية ٥٨٦/٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٦١ .

(٥) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ٣٩٩/٩ – ٤٠٠ ، الفتوحات الإلهية ٥٨٥/٣ .

(٦) يراجع فى ذلك غرائب آى التنزيل للرازى ص٤٤٦ ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن لأبى يحيى زكريا الأنصارى ص٤٩٠ ، الفتوحات الإلهية ٥٨٧/٣ .

(٧) التحرير والتنوير ٣٠٥/٢٣/١١ .

(٨) سورة النساء : آية ١١٧ – ١١٨ .

(٩) سورة التوبة : آية ٣١ .

أمروهم به ، لا أنهم عبدوهم ، والمريد والمارد هو الذى بلغ الغاية فى الشر والفساد ، يقال مرد إذا عتا وتجبر فهو مارد ومريد ، وأصل اللعن : الإبعاد ، وهو فى العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب ، فلعنة إبليس – عليه لعنة الله – على التعيين جائزة ، وكذلك سائر الكفرة الموتى كفرعون وهامان وأبى جهل " (١).

وقال الطاهر بن عاشور " ومعنى (وإن يدعون إلا شيطانا مريداً) أن دعوتهم الأصنام دعوة للشيطان ، والمراد جنس الشيطان ، وإنما جعلوا يدعون الشيطان لأنه الذى سوّل لهم عبادة الأصنام ، والمريد : العاصى والخارج عن الملك ، وجملة (لعنه الله) صفة لشيطان ، أى أبعده ، وتحتمل الدعاء عليه ، لكن المقام ينبو عن الاعتراض بالدعاء فى مثل هذا السياق " (٢).

(٦) **الرجيم** :

الرجم : القتل ، وقد ورد فى القرآن الرجم القتل فى غير موضع من كتاب الله عز وجل (٣)، وإنما قيل للقتل رجمٌ لأنهم كانوا إذا قتلوا رجلاً رموه بالحجارة حتى يقتلوه، ثم قيل لكل قتل رجم ، وأصله الرمى بالحجارة ، والرجم : اللعن ، ومنه الشيطان الرجيم ، أى المرجوم بالكواكب ، وقيل : رجيم ملعون مرجوم باللعنة مبعد مطرود ، وهو قول أهل التفسير (٤).

وجاء وصف اللعين فى القرآن الكريم بصفة الرجيم فى ست آيات ، أبينها فيما يلى :

١- فى سورة آل عمران يقول تعالى : ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ (٥) .

والمعنى : وقالت امرأة عمران : إنى سميتها مريم ، أى أسميت هذه الأنثى مريم ومعناه فى لغتهم العابدة خادمة الرب ، وإنى أجيرها وأعيذها بحفظك ورعايتك من شر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٥/٣ مختصرا .

(٢) التحرير والتنوير ٢٠٣/٥/٣ .

(٣) مثل قوله تعالى (لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) الشعراء : ١٦ ، وقوله عز وجل (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) يس : ١٨ .

(٤) لسان العرب ١٦٠١/٣ مادة رجم .

(٥) سورة آل عمران : آية ٣٦ .

الشيطان الرجيم المطرود من كل خير ، وأدعوك أن تقيها وذريتها من الشيطان وسلطانه عليهما ، فاستجاب الله دعاءها .

أخرج البخارى(١) – بسنده – عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ، ثم يقول أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾.

أى أن الشيطان يطمع فى إغواء كل مولود بحيث يؤثر فيه إلا مريم وابنها ..

وأخرجه مسلم(٢) – بسنده – عن أبى هريرة بلفظ : ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه . ثم قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ .

قال القرطبى : " قال علماؤنا : فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم ، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها "(٣).

وأخرج ابن جرير(٤) الطبرى – بسنده – عن قتادة قال : كل مولود يطعنه الشيطان فى جنبه حين يولد غير عيسى وأمه فإنه جعل بينهما حجاب هو المشيمة التى يكون فيها الولد فأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ لهما منه شئ .

قال الجمل " وطعن الشيطان للأنبياء غير عيسى ليس فيه نقص لهم ولا ينافى عصمتهم منه لأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه والطعن من قبيل الأمراض والآلام المتعلقة بظاهر البدن والأنبياء غير معصومين من مثل هذا تأمل " (٥).

٢- وفى سورة الحجر يقول سبحانه : ﴿ **وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ** ﴾ (٦) .

---

(١) صحيح البخارى – كتاب التفسير – سورة آل عمران – باب (وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ١٣٧٨/٣ رقم ٤٥٤٨ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب فضائل عيسى عليه السلام ١٤٦٦/٤ رقم ٢٣٦٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥٣/٤/٢ ، الفتوحات الإلهية ٢٦٤/١ .

(٤) جامع البيان ١٦١/٣ ، الدر المنثور ١٨٤/٢ .

(٥) الفتوحات الإلهية ٢٦٤/١ .

(٦) سورة الحجر : آية ١٧ .

والمعنى : أى ومنعنا الاقتراب من السماء كل شيطان رجيم ، كما قال فى آية أخرى : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ (١) .

والرجيم : المرجوم ، أى المقذوف بالشهب ، أو المرمى بالقول القبيح ، أو الملعون المطرود .

والمراد بالحفظ من الشياطين الحفظ من استقرارها وتمكنها من السماوات .

٣- وفى سورة الحجر- أيضا - يقول الله عز وجل:﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾(٢).

والمعنى : أى فاخرج من المنزلة التى كنت فيها من الملأ الأعلى ، فإنك مرجوم ، أى لعين مطرود ، لعنة دائمة ملازمة له إلى يوم القيامة .

والظاهر أن الضمير فى (منها) عائد إلى السموات وإن لم يجر لها ذكر ، وأيد بظاهر قوله تعالى ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾ (٣) ، وقيل لزمرة الملائكة عليهم السلام ويلزم خروجه من السماء إذ كونه بانزوائه عنهم فى جانب لا يعد خروجاً فى المتبادر وكفى به قرينة ، وقيل : للجنة ، لقوله تعالى ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (٤) ولوقوع الوسوسة فيها ، وُردّ بأن وقوعها كان بعد الأمر بالخروج (فإنك رجيم) من الرجم بالحجر ، أى الرمى به ، وهو كناية عن الطرد ، لأن من يطرد يرجم بالحجارة على أثره ، أى مطرود من رحمة الله ومن كل خير وكرامة أو من الرجم بالشهب وهو كناية عن كونه شيطاناً أى من الشياطين الذين يرجمون بالشهب (٥).

٤- وفى سورة النحل يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٦) .

يأمر الله عباده على لسان نبيه ﷺ إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم فيقول : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ، أى إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ، أى الجأ إلى الله من وساوس الشيطان المرجوم الملعون المطرود من رحمة الله ، حتى لا تلتبس عليك القراءة ، ولتتدبر معانى القرآن،

---

(١) سورة الصافات : آية ٧ .
(٢) سورة الحجر : آية ٣٤ .
(٣) سورة الأعراف : آية ١٣ .
(٤) سورة الأعراف : آية ١٩ .
(٥) انظر روح البيان ٤٦٤/٧ ، روح المعانى ٤٧/١٤ .
(٦) سورة النحل : آية ٩٨ .

وخطاب النبى ﷺ خطاب لأمته ، بل هى أولى ، لأنه معصوم من وساوس الشيطان وإغوائه والاستعاذة بالله مانعة للشيطان من إلقاء الوسوسة بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (١) فلهذا السبب أمر الله تعالى رسوله بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى تلك القراءة مصونة عن الوسوسة .

وكيفية الاستعاذة أن يقول القارئ عند إرادة قراءته للقرآن (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقد تضافرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة .

روى الواحدى أن ابن مسعود قرأ عليه عليه الصلاة والسلام فقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فقال له ﷺ : يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ (٢).

قال ابن عطية " لم يصح عن النبى ﷺ زيادة على هذا اللفظ ، وما يروى من الزيادات لم يصح منه شئ " (٣).

وأما ما أخرجه الترمذى(٤) – بسنده – عن أبى سعيد الخدرى قال " كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ... الخ" فتلك استعاذة تعوذ وليست الاستعاذة لأجل قراءة القرآن .

وقال الشيخ السايس " والأمر بها – أى الاستعاذة – للندب عند الجمهور ، وعن الثورى أنها واجبة ، وظاهر الآية يؤيده ، إذ الأمر للوجوب ، والجمهور يقولون: إنه صرفها عن الوجوب ما ورد أنه ﷺ لم يعلمها الأعرابى – أى الذى سأله عن كيفية الصلاة – وأيضا فقد روى أنه كان ﷺ يتركها ... " (٥).

٥- وفى سورة (ص) يقول عز وجل :﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .
(٢) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٣ / ٨٣ – ٨٤ ، روح المعانى ٢٢٨/١٤.
(٣) المحرر الوجيز ٨٥/١ .
(٤) سنن الترمذى ٢٢٣/٥ .
(٥) تفسير آيات الأحكام ٥١/٣/٢ .
(٦) سورة ص : آية ٧٧ .

وقد سبق معنى الآية مع تفسير الرجيم فى آية سورة الحجر .

٦- وفى سورة التكوير يقول تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (١) .

والمعنى : أى وما القرآن بقول شيطان يسترق السمع ، مرجوم بالشهب ، فالقرآن ليس بشعر ولا كهانة ، كما قالت قريش ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ{٢١٠} وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ {٢١١} إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ {٢١٢} ﴾ (٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ{٢٢١} تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {٢٢٢} ﴾ (٣) .

قال الطاهر بن عاشور : " ورجيم فعيل بمعنى مفعول ، أى مرجوم ، والمرجوم : المبعد الذى يتباعد الناس من شره ، فإذا أقبل عليهم رجموه فهو وصف كاشف للشيطان " (٤).

(٧) **التمرد** :

وهذه صفة من صفات الخبيث اللعين .

والتمرد وُصف به صراحة فى آيتين كريمتين من كتاب الله تعالى هما قوله تعالى : ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ (٦) .

والمراد من قوله (مريدا) أنه مَرَن على الإغواء والإضلال ، أو تمرد واستكبر عن الطاعة ، فالمريد : العاتى المتمرد ، و (مارد) عاتٍ خارج عن الطاعة .

---

(١) سورة التكوير : آية ٢٥ .

(٢) سورة الشعراء : آية ٢١٠ – ٢١٢ .

(٣) سورة الشعراء : آية ٢٢١ – ٢٢٢ .

(٤) التحرير والتنوير ١٦٤/٣٠/١٥ .

(٥) سورة النساء : آية ١١٧ .

(٦) سورة الصافات : آية ٧ .

قال الراغب " والمارد والمريد من شياطين الجن والإنس المتعرّى من الخيرات من قولهم شجرٌ أمْرَدُ إذا تعرّى من الورق ، ومنه قيل رَمْلة مرداء لم تنبت شيئاً " (١).

وقال ابن منظور " المارد : العاتى ، مرُد على الأمر ، بالضم ، يمردُ مروداً ومرادة فهو مارد ومريد ، وتمرّد : أقبل وعتا ، وتأويل المرودِ أن يبلغ الغاية التى تخرج من جملة ما عليه ذلك الصِّنف ، وأصله من مردة الجن والشياطين ، ومنه حديث رمضان: " وتصفد فيه مردة الشياطين " (٢). جمع مارد ، والمريد : الخبيث المتمرد الشرير ، وشيطان مارد ومريد واحد " (٣).

والمعنى : أولئك المشركون هم فى الواقع ما يعبدون إلا شيطاناً عاتياً مرد على الإيذاء وتمرن على الخبائث ، إذ هو الذى أمرهم بعبادتها ، فكانت طاعتهم له عبادة .

ومعنى آية الصافات : أى وحفظناها حفظا من كل شيطان عات متمرد عن الطاعة ، إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ، لذا قال تعالى : ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى ﴾ أى لا تقدر الشياطين أن يتسمعوا لحديث الملأ الأعلى وهم الملائكة أهل السماء الدنيا فما فوقها ، لأنهم يرمون بالشهب ، وذلك إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره .

(٨ ، ٩) **العناد وسوء الأدب** :

العناد وسوء الأدب هما صفتان نستنبطهما مما ذكره الله تعالى عن اللعين فى حواره مع الله ، وفيه ترى سوء أدبه مع ربه واستكباره وعناده ، سنرى هذا واضحا فى رده على الله تعالى لما سأله عن عدم سجوده لآدم – عليه السلام – امتثالاً لأمره تعالى ، وإقسامه على إغراء بنى آدم – الذين كرمهم الله وفضلهم عليه – وإضلالهم ، وما قاله اللعين عن نفسه وتوعد به أن يفعله من أساليب الإغواء والإضلال للإنسان .

وبمعرفة العناد فى اللغة ، تجد أنه صفة تنطبق على الخبيث اللعين .

---

(١) المفردات ص ٤٦٦ كتاب الميم .

(٢) صحيح البخارى – كتاب بدء الخلق – باب : صفة إبليس وجنوده ١٠١٠/٢ ، صحيح مسلم – كتاب الصيام – باب فضل شهر رمضان ٦٢٢/٢ رقم ١٥٧٩ .

(٣) لسان العرب ٤١٧٢/٦ مادة مرد .

قال ابن منظـــور " قال قتادة : العنيد المُعْرِض عن طاعة الله تعالى ، وقال تعـــالى : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [١] عَنَدَ الرجل يَعْنِدُ عَنْداً وعُنُوداً وعَنَداً : عتا وطغا وجـــاوز قدره ، ورجلٌ عنيد : عاند ، وهو من التجبر ، معاندة والعناد : أن يعرف الرجل الشئ فيأباه ويميل عنه ، وكان كفر أبى طالب والمعاندة ، لأنه عرف وأقرَّ ، وأنف أن يقال: تبع ابن أخيه ، فصار بذلك كافراً ، وعاند معاندة أى خالف ورد الحق وهو يعرفـــه ، فهو عنيد وعاند ، قال الأزهرى : والمعاند هو المعارض بالخلاف لا بالوفاق، وهـــذا الذى تعرفه العوام " [٢].

وهذه المعانى كلها منطبقة على اللعين ، إلا أن العناد وسوء الأدب لم يذكر صـــراحة فى القرآن الكريم ، وإنما الذى ذكر هو استكباره الذى تكلمت عليه سابقا ، فإذا قرأنـــا الحوار الذى دار بين الله عز وجل وإبليس اللعين ترى منه استكباره الذى أخبر عنـــه القرآن، وترى معه عناده وسوء أدبه مع الله تعالى ، وترى أيضا مع هذا وذاك أن كفر اللعين كان عن عناد وتمرد واستكبار لاعن جهل كما يرى بعض المفسرين ، وها هى نصوص الحوار كما جاءت فى القرآن الكريم .

قال الله عز وجل : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {١٢} قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّـــكَ مِـــنَ الصَّاغِرِينَ {١٣} قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {١٤} قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {١٥} قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {١٦} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَـــيْنِ أَيْـــدِيهِمْ وَمِـــنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {١٧} قَالَ اخْـــرُجْ مِنْهَـــا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ {١٨} ﴾ [٣].

أنظر رده على الله تعالى :

(أنا خير منه) (أنظرنى) (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) لترى منـــه الاستكبار والعناد وسوء الأدب .

(١) سورة إبراهيم : آية ١٥ .

(٢) لسان العرب ٤/٣١٢٤ – ٣١٢٥ مادة عند .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٢ – ١٨ .

وكذلك أيضا فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {٣٢} قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {٣٣} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّـــكَ رَجِيمٌ {٣٤} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الـــدِّينِ {٣٥} قَـــالَ رَبِّ فَـــأَنظِرْنِي إِلَـــى يَـــوْمِ يُبْعَثُونَ{٣٦} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {٣٧} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {٣٨} قَالَ رَبِّ بِمَـــآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُـــمْ فِـــي الأَرْضِ وَلأُغْـــوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـــينَ {٣٩} إِلاَّ عِبَـــادَكَ مِـــنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ{٤٠} ﴾ [١].

انظر أيضا إلى قوله :﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْـــجُدَ لِبَشَـــرٍ خَلَقْتَـــهُ مِـــن صَلْصَـــالٍ... ﴾ وقولـــه ﴿فَأَنظِرْنِي﴾، وقوله : ﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِـــي الأَرْضِ وَلأُغْـــوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـــينَ ﴾ لترى ما ذكرناه .

وكذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِـــيسَ قَـــالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا {٦١} قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـــذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَـــوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً {٦٢} ﴾ [٢] هكذا بهمزة الاستفهام الانكارى (أأســـجد) وانظر قوله : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـــذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ لترى فيه ما ذكرناه .

وأيضا قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيس مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَـــدَيَّ أَسْـــتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ {٧٥} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِـــينٍ ٧٦}} قَـــالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {٧٧} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {٧٨} قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {٧٩} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {٨٠} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {٨١} قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ{٨٣}﴾[٣].

فإذا نظرنا إلى آيات أخرى فى غير قصة آدم عليه السلام ، نجد اللعـــين يســـئ الأدب فى خطابه لمولاه تمرداً وعناداً ، حيث يقول كما حكى القرآن عنه : ﴿ وَقَالَ لأَتَّخِـــذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا {١١٨} وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْـــرَانًا

(١) سورة الحجر : آية ٣٢ – ٤٠ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٦١ – ٦٢ .

(٣) سورة ص : آية ٧٥ – ٨٣ .

مُبِينًا {١١٩} ﴾ [١] . هكذا – أيضا – بهذا الأسلوب الذى يدل على التمرد والعناد وسوء الأدب مع الله تعالى .

(١٠ ، ١١) **المذؤوم المدحور** :

وهما وصفان للخبيث اللعين ، ذكرهما الله عز وجل فى قوله : ﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا** ﴾ [٢] .

وهنا أكد الله تعالى على إبليس اللعنة والطرد والابعاد والنفى بقوله : ﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا** ﴾ أى اخرج من الجنة معيبا ممقوتاً مبعداً مطروداً من رحمة الله .

قال القرطبى : قوله تعالى ﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا** ﴾ " أى الجنة ﴿ **مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا** ﴾ ﴿**مَذْؤُومًا**﴾ أى مذموماً . والذأم : العيب ، بتخفيف الميم ، قال ابن زيد : مذؤوماً ومذموماً سواء يقال ذأمته وذممته وذمته بمعنى واحد ، وقرأ الأعمش (مذوماً) والمعنى واحد ، إلا أنه خفف الهمزة ، وقال مجاهد : المذؤوم : المنفى ، والمعنيان متقاربان ، والمدحور : المبعد المطرود ، عن مجاهد وغيره ، وأصله الدفع " [٣].

وبعد ، فهذه بعض صفات الشيطان فى القرآن ، منها ما هو مذكور صراحة ومنها ما أخذ استنباطا من أقواله وأفعاله .

من مكايد الشيطان

(١) **النزغ** :

وهو من أفعال الشيطان القبيحة ، وكيد من مكايده للإنسان.

قال الفيروزآبادى " النزغ والهمز : الوسوسة ، يقول : إن نالك من الشيطان أدنى وسوسة ، ويقال : نزغ بيننا ، أى أفسد ، وقيل : النزغ : الإغراء ، قال الله تعالى : ﴿**مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي** ﴾ [٤] أى أغرى ، وقيل : أفسد " [٥].

---

(١) سورة النساء : آية ١١٨ – ١١٩ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٧/٤ ، وانظر المحرر الوجيز ٣٨١/٢ ، البحر المحيط ٢٧٧/٤ ، الفتوحات الإلهية ١٢٧/٢ ، روح المعانى ٩٦/٨ .

(٤) سورة يوسف : آية ١٠٠ .

(٥) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٣٧/٥ .

وقال ابن منظور : " النزغ : أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم، ونزغ بينهم ينْزَغ وينْزِغ نزغاً : أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض ، والنزغ : الكلام الذى يُغرِى بين الناس ونزغه : حرّكه أدنى حركة ، ونزغ الشيطان بينهم ينزَغ وينزِغ نزغاً أى أفسد وأغرى ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** ﴾ [١].

نزغ الشيطان : وساوسه ونخسه فى القلب بما يسوّل للإنسان من المعاصى ، يعنى يلقى فى قلبه ما يفسده على أصحابه [٢].

وقد ذكر الله عز وجل أن الشيطان ينزغ بين الناس للإفساد بينهم ، ففى سورة يوسف – عليه السلام – يقول يوسف كما حكى القرآن عنه ﴿ **مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي** ﴾ [٣] أى أفسد وأغوى بينى وبين إخوتى ، وقد أضاف النزغ إلى الشيطان ، لأنه سبب الإفساد ، وتكريما لأخوته .

قال الزمخشرى " نزغ : أفسد بيننا وأغوى وأصله من نزغ الراكض الدابة وحملها على الجرى ، يقال : نزغه ونسفه إذا نسخه " [٤].

وقال القاسمى : قوله تعالى :﴿ **مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ** ﴾ " أى أفسد ﴿ **الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي** ﴾ أى بالحسد ، وأسنده إلى الشيطان لأنه بوسوسته وإلقائه ، وفيه تفاد عن تثريبهم أيضاً ، وإنما ذكره لأن النعمة بعد البلاء أحسن موقعاً " [٥].

وفى سورة الإسراء يقول عز وجل : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾ [٦] .

يأمر الله تعالى رسوله بأن يبلغ عباد الله المؤمنين أن يقولوا فى مخاطبات الناس من المشركين وغيرهم ومحاوراتهم معهم الكلام الأحسن للإقناع ، والكلمة الطيبة ، وهو

---

(١) سورة الأعراف : آية ٢٠٠ ، وفصلت : آية ٣٦ .

(٢) لسان العرب ٤٣٩٧/٦ مادة نزغ .

(٣) سورة يوسف : آية ١٠٠ .

(٤) الكشاف ٣٤٤/٢ ، مفاتيح الغيب ١٥٧/٩ ، إرشاد العقل السليم ٣٠٧/٤ ، روح البيان ٣٢٢/٤ .

(٥) محاسن التأويل ٣٥٩٧/١٠ .

(٦) سورة الإسراء : آية ٥٣ .

ألا يكون بيان الحجة مخلوطا بالشتم والسب والأذى ، كما قال تعالى فى آية أخرى : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) .

وعلة ذلك كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ أى إن لم يقولوا الكلام الأحسن والكلمة الطيبة ، فإن الشيطان يفسد الأمور بين المؤمنين والمشركين ، ويثير الفتنة والشر ، ويوقع المخاصمة والمقاتلة ويغرى بعضهم ، لأنه عدو لآدم وذريته عداوة ظاهرة بينه ، ولهذا نهى الشرع أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة ، فإن الشيطان ينزغ فى يده ، فربما أصابه بها ، فقد أخرج مسلم(٣) – بسنده – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ " لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزِغ فى يده فيقع فى حفرة من النار " .

وسبب نزغ الشيطان للإنسان هو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ أى إن الشيطان عدو ظاهر العداوة للإنسان ، وقد أعلن عداوته منذ القدم كما حكى القرآن ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ (٤) .

قال القرطبى : " والآية نزلت فى عمر بن الخطاب ، وذلك أن رجلا من العرب شتمه، وسبه عمر وهم بقتله ، فكادت تثير فتنة ، فأنزل الله فيه ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ﴾ ، وقيل : نزلت لما قال المسلمون : إئذن لنا يا رسول الله فى قتالهم فقد طال إيذاؤهم إيانا ، فقال (لم أومَر بعد بالقتال) فأنزل الله تعالى ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ﴾ ، وقيل : المعنى قل لعبادى الذين اعترفوا بأنى خالقهم وهم يعبدون الأصنام ، يقولوا التى هى أحسن من كلمة التوحيد والإقرار بالنبوة ، وقيل : المعنى وقل لعبادى المؤمنين إذا جادلوا الكفار فى التوحيد ، أن يقولوا الكلمة التى هى أحسن ،

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٦ .

(٣) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب النهى عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ١٦٠٣/٤ رقم ٢٦١٧ .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٧ .

كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١)، وقال الحسن : هو أن يقول للكافر إذا تشطط هداك الله ، يرحمك الله ، وهذا قبل أن أمروا بالجهاد ، وقيل المعنى : قل لهم يأمروا بما أمر الله به وينهوا عما نهى الله عنه، وعلى هذا تكون الآية عامة فى المؤمن والكافر ، أى قل للجميع ، والله أعلم ، وقالت طائفة : أمر الله تعالى فى هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الأدب وإلانة القول ، وخفض الجناح واطّراح نزغات الشيطان ، وقد قال ﷺ " وكونوا عباد الله إخواناً "(٢) وهذا أحسن وتكون الآية محكمة (إن الشيطان ينزغ بينهم) أى بالفساد وإلقاء العداوة والإغواء ، يقال : نزغ بيننا أى أفسد ، قاله اليزيدى ، وقال غيره : النزغ الإغواء (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) أى شديد العداوة ، وفى الخبر (أن قوما جلسوا يذكرون الله عز وجل فجاء الشيطان ليقطع مجلسهم فمنعنه الملائكة فجاء إلى قوم جلسوا قريبا منهم لا يذكرون الله فحرش بينهم فتخاصموا وتواثبوا فقال هؤلاء الذاكرون قوموا بنا نصلح بين إخواننا فقاموا وقطعوا مجلسهم وفرح بذلك الشيطان) فهذا من بعض عداوته " (٣).

(٢) إخلاف الوعد :

وهو خلق مرذول من أخلاق اللعين ، تظهر آثاره فى كيده للإنسان ، فهو يعده ويمنيه، ويخلف وعده معه ليوقعه فى الهلاك ، وهذا الخلق نستنبطه مما ذكره القرآن الكريم عن الشيطان فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٨ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض – باب : تعليم الفرائض ٢١٠٢/٥ رقم ٦٧٢٤ من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، وأخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب ١٥٧٤/٤ رقم ٢٥٥٩ من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠١/١٠/٥ .

مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

والمعنى : اذكر أيها الرسول حين زين الشيطان للمشركين أعمالهم بوسوسته ، وأوهمهم أنهم لا يُغلبون أبدا لكثرة عددهم وعُدَدهم ، وأن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم ، وأزال مخاوفهم من إتيان عدوهم بنى بكر فى ديارهم وقال (إنى جار لكم) أى مجير لكم من بنى كنانة ، وذلك أنه تبدى لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشم سيد بنى مُدْلِج كبير تلك الناحية ، والجار : المدافع عن صاحبه ، والزائد عنه أنواع الضرر ، كما يدفع الجار عن جاره ، وكل ذلك من الشيطان كما قال تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ (٢) .

فلما تلاقى الفريقان المتقاتلان نكص الشيطان على عقبيه ، أى تراجع مدبرا ، وولى هارباً ، وتبرأ منهم ، أى بطل كيده حين نزلت جنود الله ، وأيس من حالهم لما رأى إمداد الملائكة للمسلمين ، وأظهره أنه يخاف الله ، وهكذا كان جند الشيطان فى مبدأ الأمر مع المشركين يوسوسون لهم ويضللونهم ، وكان الملائكة جند الرحمن مع المؤمنين يثبتون قلوبهم ويؤيدونهم ويعدونهم بنصر الله .

ذكر البيهقى(٣) عن ابن عباس قال : أمدَّ الله نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل عليه السلام فى خمسمائة من الملائكة مُجَنِّبة(٤) ، وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وجاء إبليس فى جند من الشيطان ومعه راية فى صورة رجال من بنى مُدْلِج ، والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشم ، فقال الشيطان للمشركين (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم) فلما اصطف القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ، ورفع رسول الله ﷺ يده فقال " يا رب إنك إن تهلك هذه العصابة ، فلن تعبد فى الأرض أبدا " فقال جبريل " خذ قبضة من التراب "

(١) سورة الأنفال : آية ٤٨ .
(٢) سورة النساء : آية ١٢٠ .
(٣) الدلائل للبيهقى ١٧٩/٢ ، جامع البيان ١٤/١٠/٦ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٧٧/٤ .
(٤) مُجنِّبة الجيش : هى التى تكون فى الميمنة والميسرة ، وهما مجنبتان .

فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه ، فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس ، فلما رآه كانت يده فى يد رجل من المشركين – قيل : كانت يده فى يد الحارث بن هشام – انتزع إبليس يده ، ثم ولى مدبرا وشيعته ، فقال له الرجل : يا سراقة ، ألم تزعم أنك لنا جار ؟ فقال (إنى بريء منكم إنى أرى ما لا ترون) .

وفى موطأ(١) مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال : ما رُئِيَ الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وما ذاك إلا لِمَا رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أُرِيَ يوم بدر قيل: وما رَأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال : أما إنه قد رأى جبريل يزَعُ(٢) المكلائكة .

كما نرى هذا الخلق المرذول – أيضا – فى الشيطان الرجيم ، وأثره على الإنسان فى قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {١٦} فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ {١٧} ﴾ (٣) .

والمعنى : أى إن مثل هؤلاء المنافقين فى وعودهم اليهود بالمناصرة والمؤازرة فى القتال والخروج ، كمثل الشيطان الذى سوّل للإنسان الشر ، وأغراه بالكفر ، وزينه له، وحمله عليه ، فلما كفر الإنسان مطاوعة للشيطان ، تبرأ الشيطان منه وتتصل يوم القيامة ، وقال على وجه التبرى من الإنسان : إنى أخاف الله رب العالمين إذا ناصرتك .

وهذا مثل فى غاية السوء وشدة الوقع على النفوس ، لذا أبان الله تعالى بعده ما يوجبه من العقاب ، فقال : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ﴾ أى فكان عاقبة الشيطان الآمر بالكفر ، والإنسان الذى كفر واستجاب أنهما صائران

(١) الموطأ – كتاب الحج – باب جامع الحج ص٢٧٢ رقم ٢٤٥ .
(٢) يزع الملائكة أى يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب
(٣) سورة الحشر : آية ١٦ – ١٧ .

إلى نار جهنم خالدين فيها على الدوام ، وذلك الجزاء وهو الخلود فى النار هو جزاء الكافرين جميعا ، ومنهم اليهود والمنافقون .

قال الطاهر بن عاشور " أن هذا المثل متصل بقوله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) كما يفصح عنه قوله فى آخره ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ ﴾ الآية ، أى مثلهم فى تسبيبهم لأنفسهم عذاب الآخرة كمثل الشيطان إذ يوسوس للإنسان بأن يكفر ثم يتركه ويتبرأ منه فلا ينتفع أحدهما بصاحبه ويقعان معاً فى النار "(٢) .

وقال ابن عطية " وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين إلى أن (الشيطان) و(الإنسان) فى هذه الآية أسماء جنس ، لأن العرف أن يعمل هذا شياطين بناس كما يغوى الشيطان الإنسان ثم يفر منه بعد أن يورطه ، كذلك أغوى المنافقون بنى النضير وحرضوهم على الثبوت ووعدوهم النصر ، فلما نشب بنو النضير وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون فى أسوأ حال "(٣) .

ونرى هذا الخلق المرذول – أيضا – بصورة أوضح – حينما يقف إبليس اللعين خطيبا فى النار بين أوليائه وأتباعه من الجن والإنس ، يعلن لهم الحقيقة المرة التى تزيدهم عذاباً فوق العذاب ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) .

والمعنى : وقال إبليس لأتباعه الإنس ، بعد ما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمن الجنات ، وأسكن الكافرين الدركات : إن الله وعدكم بالبعث والجزاء وعد الحق على ألسنة رسله ، وكان وعدا حقا وخبرا صدقا ، وأما أنا فوعدتكم أن لا بعث ولا جزاء ،

(١) سورة الحشر : آية ١١٥ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٢٨/١٠٨ – ١٠٩ ، وانظر المحرر الوجيز ٥/٢٩٠ ، البحر المحيط ٨/٢٥٠، محاسن التأويل ١٦/٥٧٤٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/٢٩٠ ، البحر المحيط ٨/٢٥٠ ، التحرير والتنوير ١٣/٢٨/١٠٩.

(٤) سورة إبراهيم : آية ٢٢ .

ولا جنة ولا نار ، فأخلفتكم موعدى ، إذ لم أقل إلا باطلا من القول وزوراً ، كما قال تعالى ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ (١) وقد اتبعتمونى وتركتم وعد ربكم (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) أى وما كان لى عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة ، ولا قوة ولا تسلط فيما وعدتكم به ﴿ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ أى ولكن حينما دعوتكم استجبتم لى ، بمجرد ذلك ﴿ فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم ﴾ أى فلا توجهوا اللوم إليّ اليوم ، ولوموا أنفسكم ، لأنكم أسرعتم إلى إجابتى باختياركم ، فإن الذنب ذنبكم ، لكونكم لم تستمعوا إلى دعاء ربكم ﴿ مَا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ ... ﴾ ما أنا بمغيثكم ولا نافعكم ولا منقذكم مما أنتم فيه من العذاب ، وما أنتم بمغيثى ولا نافعى بإنقاذى مما أنا فيه من العذاب والنكال ، كما قال تعالى ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ ﴾ (٢) .

﴿ إنى كفرت... ﴾ إنى أنكرت أو جحدت اليوم بإشراككم إياى من قبل أى فى الدنيا مع الله تعالى فى الطاعة ، كما قال سبحانه ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ (٣) ، والمراد بذلك تبرؤه من الشرك وإنكاره له ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾(٤) ، وقال عز وجل ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (٥) ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هذا فى الأظهر من قول الله عز وجل ، ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس المحكى فى القرآن قطعاً لأطماع أولئك الكفار عن الإعانة والإغاثة ، والمعنى : إن الكافرين فى إعراضهم عن الحق ، واتباعهم الباطل لهم عذاب مؤلم .

والمقصود تنبيه الناس إلى تبرؤ الشيطان من وساوسه فى الدنيا ، وحضهم على الاستعداد ليوم الحساب ، وتذكر أهوال الموقف .

(١) سورة النساء : آية ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٦٦ .

(٣) سورة فاطر : آية ١٤ .

(٤) سورة الممتحنة : آية ٤ .

(٥) سورة مريم : آية ٨٢ .

أراد بالكيد العذاب ، والصحيح أنه هو الإملاء والإمهال المؤدى إلى العقاب ، كقوله ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا﴾ (١) وقوله ﴿ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (٢) فخصَّ الخائنين تنبيها أنه قد يهدى كيد من لم يقصد بكيده خيانة ككيد يوسف بأخيه " (٣).

وقال ابن منظور " والكيد : الخبث والمكر والاحتيال " (٤).

وقد وصف الله عز وجل كيد الشيطان بالضعف ، لأنه وإن كان مبنيا على الخبث والمكر والاحتيال ، فلا سبيل إلى تنفيذه إلا بالوسوسة ، وهى لا تنجح إلا مع من اتبعه من الغاوين ، قال تعالى : ﴿ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٥).

قال السيوطى : أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : إذا رأيتم الشيطان فلا تخافوه واحملوا عليه ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ قال مجاهد : كان الشيطان يتراءى لى فى الصلاة فكنت أذكر قول ابن عباس، فأحمل عليه ، فيذهب عنى (٦).

ومما يدل على ضعف كيده ما جاء فى السنة المطهرة من محاولة الشيطان قطع صلاة النبى ﷺ ، وتمكن النبى ﷺ منه وإبطال كيده .

أخرج الإمام مسلم(٧) – بسنده – عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول " أعوذ بالله منك " ثم قال " ألعَنُك بلعنة الله " ثلاثاً ، وبسط يده كأنه يتناول شيئا، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله ، قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٧٨ .

(٢) سورة يوسف : آية ٥٢ .

(٣) المفردات ص٤٤٣ كتاب الكاف .

(٤) لسان العرب ٣٩٦٥/٥ مادة كيد ، وانظر بصائر ذوى التمييز ٣٩٩/٤ .

(٥) سورة النساء : آية ٧٦ .

(٦) الدر المنثور ٥٩٣/٢ .

(٧) صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب جواز لعن الشيطان فى أثناء الصلاة والتعوذ منه ٣٢١/١ رقم ٥٤٢ ، سنن النسائى – كتاب السهو – باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه فى الصلاة ١٣/٢ .

تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يَدَك ، قال " إن عدو الله إبليس ، جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى ، فقلت : أعوذ بالله منك . ثلاث مرات . ثم قلت : ألعنُك بلعنة الله التامة . فلم يستأخر . ثلاث مرات ، ثم أردت أخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة " .

والكيد من الله تعالى : هو : إبطال كيد الكائدين ومعاقبتهم على ما دبروه من كيد ، قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا {١٥} وَأَكِيدُ كَيْدًا {١٦} ﴾ (١) .

ووصف كيده – سبحانه – بأنه متين ، قال تعالى ﴿ وأملى لهم إن كيدى متين ﴾ (٢) فكيده سبحانه : هو الإملاء والإمهال ، ليزداد العاصى عصياناً والطاغى طغياناً ، ثم يأخذه سبحانه أخذ عزيز مقتدر ، فهو كيد متين ، لأنه كيد القوى الجبار العزيز القهار.

(٥) **الخبط والمس** :

وهما من أعمال الشيطان الخبيثة وكيده ، بهما يحدث للإنسان نوع من الصرع أو الجنون ، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (٣) كأنه يضربه بشدة فى كل ناحية ، وهو تصوير لحالة القلق والاضطراب دنيا وأخرى بسبب تعامله بالربا .

والخبط : الضرب فى الأرض على غير هدى .

قال ابن منظور " خبطَه يخبِطُه خبطاً : ضربه ضربا شديداً .... وخبطه الشيطان وتخبطه : مسه بأذى وأفسده ، ويقال : لِفُلان خبطةٌ من مسٍّ ، وفى التنزيل ﴿ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ أى يتوطؤه فيصرعه ، والمس : الجنون ، وفى حديث الدعاء " وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان "(٤) أى يصرعنى ويلعب بى " (٥).

---

(١) سورة الطارق : آية ١٥ – ١٦ .

(٢) سورة القلم : آية ٤٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٧٥ .

(٤) أخرجه أبو داود – كتاب الصلاة – باب فى الاستعاذة ٩٢/٢/١ رقم ١٥٥٢ ، الحاكم فى المستدرك ٥٣١/١ ، وصححه ووافقه الذهبى ، سنن النسائى – كتاب الاستعاذة – باب الاستعاذة من التردى والهدم ٢٨٢/٨/٤ .

(٥) لسان العرب ١٠٩٣/٢ – ١٠٩٤ مادة خبط ، المفردات ص١٤٢ كتاب الخاء .

وقال الراغب فى المس " المسُّ كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشئ وإن لم يوجد ، كما قال الشاعر :

وألمسه فلا أجِدُهُ

والمسُّ يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس وكُنِّى به عن النكاح ، فقيل مَسَّها وماسَّها ، قال تعالى ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [١] وكُنِّى عن الجنون ، قال تعالى ﴿ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ والمس يقال فى كل ما ينال الإنسان من أذى نحو قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ ﴾ [٢] ، وقوله ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء ﴾ [٣] ، وقوله ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [٤] وقوله ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ [٥] ، وقوله ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ﴾ [٦] وقوله ﴿ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ [٧] وقوله ﴿ وإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ [٨][٩] .

ومعنى آية سورة البقرة ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا .... ﴾ أى الذين يأخذون الربا ، ويستحلونه حبا فى المال ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ومن غير عمل ولا جهد ، مثلهم فى الاضطراب والقلق وتعذيب الضمير والوجدان والانهماك فى الأعمال والدنيا كمثل المصروعين الذين تتخبطهم الشياطين ، وتمسهم الجن ، وتضربهم وتصرعهم ، وهم فى الآخرة – من وقت قيامهم من قبورهم إلى البعث والنشور – أشد تخبطاً واضطراباً وتثاقلاً فى حركاتهم ، بسبب ثقل المال الحرام الذى أكلوه من الربا .

قال الإمام الشوكانى " وليس المراد بقوله هنا (الذين يأكلون الربا) اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله ، بل هو عام لكل من يعامل بالربا فيأخذه ويعطيه ، وإنما خص

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٣٧ .
(٢) سورة البقرة : آية ٨٠ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢١٤ .
(٤) سورة القمر : آية ٤٨ .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٨٣ .
(٦) سورة ص : آية ٤١ .
(٧) سورة يونس : آية ٢١ .
(٨) سورة الإسراء : آية ٦٧ .
(٩) المفردات ص٤٦٦ – ٤٦٧ كتاب الميم ، لسان العرب ٤٢٠١/٦ مادة مسس .

الآكل لزيادة التشنيع على فاعله ، ولكونه هو الغرض الأهم فإن آخذ الربا إنما أخذه للأكل ، وقوله (لا يقومون) أى يوم القيامة ، كما يدل عليه قراءة ابن مسعود (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة) أخرجه عبد بن حميد وابن أبى حاتم ، وبهذا فسره جمهور المفسرين قالوا : إنه يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتا عند أهل المحشر ، وقيل إن المراد تشبيه من يحرص فى تجارته فيجمع ماله من الربا بقيام المجنون ، لأن الحرص والطمع والرغبة فى الجمع قد استفزته حتى صار شبيها فى حركته بالمجنون ، كما يقال لمن يسرع فى مشيه ويضطرب فى حركاته : إنه قد جن ، وقوله ﴿ لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ أى إلا قياماً كقيام الذى يتخبطه ، والخبط : الضرب بغير استواء كخبط العشواء وهو المصروع ، والمس : الجنون ، والأمس : المجنون ، وفى الآية دليل على فساد قول من قال : إن الصرع لا يكون من جهة الجن ، وزعم أنه من فعل الطبائع ، وقال إن الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من أن الشيطان يصرع الإنسان ، وليس بصحيح ، وإن الشيطان لا يسلك فى الإنسان ولا يكون منه مس ، وقد استعاذ النبى ﷺ من أن يتخبطه الشيطان كما أخرجه النسائى[١] وغيره " [٢].

وجمهور العلماء على أن الشيطان يستطيع أن يتخبط الإنسان ويمسه ، ويصيبه بنوع من الصرع أو الجنون ، ودليل ذلك من القرآن الآية السابقة – آية سورة البقرة – وإلا لما شبه الله عز وجل آكل الربا فى قيامه بالذى يتخبطه الشيطان من المس .

وأما الأدلة على ذلك من السنة فكثيرة :

١- حديث الدعاء السابق (وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان) [٣] أى يصرعنى .

٢- حديث النبى ﷺ : أنه كان إذا استفتح الصلاة قال : اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه ، قيل : يا رسول الله ، ما همزه ونفثه ونفخه ؟

---

(١) سبق تخريجه ص٦٤ .
(٢) فتح القدير ٢٩٥/١ ، وانظر المحرر الوجيز ٣٧١/١ – ٣٧٢ ، مفاتيح الغيب ٦٤٣/٣ – ٦٥٠، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/٣/٢ ، التحرير والتنوير ٨٧/٣ – ٨٥ .
(٣) سبق تخريجه ص٦٤ .

قال : أما همزه فالموتَة ، وأما نفثه فالشِّعْرُ ، وأما نفخه فالكِبر ، قال أبو عبيد : الموتة : الجنون[١] .

فهذا الحديث يثبت صرع الجن للإنس ، حيث ورد فيه استعاذة النبى ﷺ من الهمز ، وتفسير الهمز كما ورد بأنه الموتة التى تأخذ الإنسان فى حياته وهى الصرع أو الجنون .

٣- ما أخرجه البخارى[٢] – بسنده – عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلتُ : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء ، أتت النبى ﷺ فقالت : إنى أصرع ، وإنى أتكشف ، فادع الله لِى، قال : " إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك " فقالت : أصبر، فقالت : إنى أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها .

وهذه المرأة التى وردت فى الحديث السابق اسمها أم زُفَر ، ففى صحيح البخارى[٣] عن ابن جريج : أخبرنى عطاء ، أنه رأى أم زُفَر تلك ، امرأة طويلة سوداء ، على ستر الكعبة .

قال الحافظ ابن حجر فى شرحه للحديث " وعند البزار من وجه آخر عن ابن عباس فى نحو هذه القصة أنها قالت (إنى أخاف الخبيث أن يجردنى ، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتى أستار الكعبة فتتعلق بها) وقد أخرج عبدالرزاق عن ابن جريج هذا الحديث مطولا ، وأخرجه ابن عبدالبر فى (الاستيعاب) من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم أنه سمع طاوساً يقول (كان النبى ﷺ يؤتى بالمجانين فيضرب صدر أحدهم فيبرأ ، فأتى بمجنونة يقال لها أم زفر ، فضرب صدرها فلم تبرأ ، قال ابن جريج وأخبرنى عطاء) فذكر كالذى هنا .... ثم قال : وقد

(١) سبق تخريجه ص٦٢ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب المرضى – باب : فضل من يُصرعُ من الريح ١٨٠٩/٤ رقم ٥٦٥٢.

(٣) المرجع السابق والكتاب والباب والجزء ص١٨١٠ .

يؤخذ من الطرق التى أوردتها أن الذى كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط " [١].

٤- ما أخرجه الحاكم[٢] – بسنده – عن أبى اليسر السلمى واسمه كعب بن عمرو أن النبى ﷺ كان يدعو يقول اللهم إنى أعوذ بك من الهدم والتردى والهرم والغم والغرق والحرق وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك لديغا . وقال : صحيح ، ووافقه الذهبى .

والروايات فى ذلك كثيرة .

وفيما ذكرته كفاية فى هذا البحث .

هذا والصرع أو الجنون الذى ينشأ عن تخبط الشيطان ومسه : هو عبارة عن اختلال يصيب الإنسان فى عقله ، فتراه يتخبط فى أفكاره وأقواله وأفعاله ، فلا يستطيع أن يربط بين ما قال وما سيقول ، ولا يستطيع التحكم فى حركاته وتصرفاته . وقد عرفه الحافظ ابن حجر بأنه " علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعا غير تام وسببه ريح غليظة تنحبس فى منافذ الدماغ ، أو بخار ردئ يرتفع إليه من بعض الأعضاء ، وقد يتبعه تشنج فى الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصباً بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة ، وقد يكون الصرع من الجن ، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم ، إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإما لإيقاع الأذية به ، والأول هو الذى يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه ، والثانى يجحده كثير منهم ، وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجاً إلا بمقاومة الأرواح الخيرية العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها " [٣].

وبهذا فقد تم إثبات التخبط والمس من الشيطان للإنسان من القرآن والسنة وأقوال العلماء .

(١) فتح البارى – كتاب المرضى – باب فضل من يصرع من الريح ١٢٠/١٠ .

(٢) المستدرك – كتاب الدعاء ٥٣١/١ ، سنن النسائى – كتاب الاستعاذة – باب الاستعاذة من التردى والهدم ٢٨٣/٨ .

(٣) فتح البارى – كتاب المرضى – باب : فضل من يُصرع من الريح ١١٩/١٠ .

(٦) الوسوسة :

وهى أخطر أفعال الشيطان بالإنسان ، وأول من وقعت له الوسوسة من الشيطان آدم وحواء عليهما السلام ، قال تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ (١) .

أى فحسدهما الشيطان وسعى فى المكر والوسوسة والخديعة ، ليسلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن ، فزين لهما ما يضرهما ويسوؤهما ، بأن تمثل لهما وكلمهما ، لتتكشف عورتهما التى يؤثران سترها ، أى لتكون عاقبة ذلك ظهور العورة .

أخرج ابن جرير الطبرى(٢) – بسنده – عن وهب بن منبه فى قوله ﴿ **لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَاوُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا** ﴾ قال : كان على كل واحد منهما نور لا يبصر كل واحد منهما عورة صاحبه ، فلما أصابا الخطيئة نزع منهما .

وقال كذبا وافتراء ﴿ **مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ** ﴾ إلا لأحد أمرين : أن تكونا ملكين أو خالدين هنا لا تموتان وتبقيان فى الجنة ، أى لئلا تكونا ملكين(٣) أو خالدين فى الجنة ، ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلك ، كقوله ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى** ﴾ (٤) .

والوسوسة : هى ما يلقيه الشيطان فى القلب (٥).

والوسوسة والتزيين والإغواء : أسلحة الشيطان التى يستطيع بها أن يضلل أتباعه من الغاوين ، ولذلك نجد الشيطان اللعين حينما يقف بين أتباعه فى جهنم ، يعلن لهم الحقيقة المرة التى تزيدهم عذاباً فوق العذاب ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم** ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٢٠ .

(٢) جامع البيان ١٠٥/٨/٥ ، الدر المنثور ٤٣٠/٣ .

(٣) وهذا مثل قوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) النساء : آية ١٧٦ ، أى لئلا تضلوا ، وقوله (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) النحل : ١٥ ، لقمان : ١٠ ، أى لئلا تميد بكم .

(٤) سورة طه : آية ١٢٠ .

(٥) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٢٠٨/٥ .

(٦) سورة إبراهيم : آية ٢٢ .

قال العلامة الألوسى فى بيان كيفية الوسوسة التى وقعت من إبليس اللعين لآدم وحواء – عليهما السلام – وتقع لذريتهما " قيل : توسله إلى ما توسل إليه إذ ذاك مثل توسله اليوم إلى إذلال من شاء الله تعالى وإضلاله ، ولا نعرف من ذلك إلا الهواجس والخواطر التى تفضى إلى ما تفضى ، ولا جزم عند كثير فى دخول الشيطان فى القلب بل لا يعقلونه ، ولهذا قالوا : خبر " إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم"(١) محمول على الكناية عن مزيد سلطانه عليهم وانقيادهم له ، وكأنى بك تختار هذا القول ، وقال أبو منصور : ليس لنا البحث عن كيفية ذلك ، ولا نقطع القول بلا دليل ، وهذا من الإنصاف بمكان " (٢).

نعم هذا من الإنصاف بمكان ، وهو الأولى بالاختيار ، وقد سبق أن قلنا : إن الشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بطريقة لا ندركها ، ولا نعرفها ، ويساعد على ذلك طبيعته التى خلقه الله عليها ، وهذا هو الذى نسميه بالوسوسة ، وبهذه الوسوسة أضل اللعين آدم وحواء – عليهما السلام – وأغراهما بالأكل من الشجرة التى نهيا عن الأكل منها ليبدى لهما ما سُتر عنهما من سوآتهما ، قال تعالى ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** ﴾(٣).

(٧ ، ٨) الإزلال والتدلية :

وهما من أفعال اللعين إبليس بالإنسان ، وقد نسب الله تعالى إلى إبليس اللعين إزلال آدم وحواء – عليهما السلام – وتدليتهما فى قوله تعالى : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ **فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا** ﴾ (٥) .

وأزله : أزلقه أو أوقعه فى الخطأ ، قال تعالى : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا** ﴾ أى أزلقهما وأبعدهما عن الجنة بالأكل من الشجرة وأوقعهما فى الخطأ ..

---

(١) سبق تخريجه ص١٣ .

(٢) روح المعانى ٢٣٥/١/١ .

(٣) سورة طه : آية ١٢١ .

(٤) سورة البقرة : آية ٣٦ .

(٥) سورة الأعراف : آية ٢٢ .

واستزله : استدرجه ليوقعه فى الزلل ، أو أوقعه فيه فعلا ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ** ﴾ [١] ومن ذلك يفهم أن الشيطان يتخذ ما يكسبه الإنسان من مغريات الحياة وسيلة لإيقاعه فى الزلل وإبعاده عن الخير وعن الجنة .

قال الراغب " الزلة فى الأصل : استرسال الرِّجل من غير قصد ، يقال زَلَّت رجل تزل ، والزلة المكان الزلق ، وقيل للذنب من غير قصد زَلة تشبيها بزلة الرِّجل ، قال تعالى ﴿ **فَإِن زَلَلْتُمْ – فأزلهما الشيطان** ﴾ واستزله : إذا تحرَّى زلته ، وقوله ﴿ **إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ** ﴾ أى استجرهم الشيطان حتى زلوا ، فإن الخطيئة الصغيرة ، إذا ترخَّص الإنسان فيها تصير مُسهلة لسبيل الشيطان على نفسه " [٢].

قرأ الجماعة (فأزلهما) بغير ألف ، من الزلة وهى الخطيئة ، أى استزلهما وأوقعهما فيها ، وقرأ حمزة (فأزالهما) بألف ، من التنحية ، أى نحاهما ، يقال : أزلته فزال . قال ابن كيسان : فأزالهما من الزوال ، أى صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية [٣].

قال القرطبى " وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى ، إلا أن قراءة الجماعة أمكن فى المعنى ، يقال منه : أزللته فزلَّ ، ودلَّ على هذا قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ** ﴾ وقوله ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ** ﴾ والوسوسة إنما هى إدخالهما فى الزلل بالمعصية ، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان ، إنما قدرته على إدخاله فى الزلل ، فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه"[٤].

وقوله تعالى ﴿ **فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا** ﴾

دلاه : أسقطه وأوقعه من علو إلى سفل ، قال تعالى ﴿ **فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ** ﴾ أى إن الشيطان أطمع آدم وحواء فيما ليس لهما بغرور منه وجرَّأهما على الأكل من الشجرة بعد نهى الله عنهما كأنه أنزلهما من عُلْو إلى سُفل ومن عِزٍّ إلى ذُلٍّ وأوقعهما فيما أراد لهما من تغرير بهما .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٥ .

(٢) المفردات ص٢١٤ كتاب الزاى .

(٣) انظر الحجة للقراء السبعة ٢/١٤ – ١٦ ، المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ١/١٣٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/١/٢٥٩ ، وانظر روح المعانى ١/٢٣٥ .

قال الزجاج : قوله (**فدلاهما بغرور**) " أى دلاَّهما فى المعصية بأن غرهما " [١].

وقال الألوسى " أى حطهما عن درجاتهما وأنزلهما عن رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية ، فهو من دلى الدلو فى البئر كما قاله أبو عبيدة وغيره ، وعن الأزهرى أن معناه : أطمعهما ، وأصله من تدلية العطشان شيئا فى البئر فلا يجد ما يشفى غليله ، وقيل : هو من الدالة : وهى الجرأة أى فجرَّأها وسبب غرورهما على ما قاله غير واحد أنهما ظنا أن أحداً لا يقسم بالله تعالى كاذباً ورووا فى ذلك خبرا ، وظاهر هذا أنهما صدقا ما قاله فأقدما على ما نهيا عنه .

وذهب كثير من المحققين أن التصديق لم يوجد منهما لا قطعا ولا ظنا ، وإنما أقدما على المنهى عنه لغلبة الشهوة كما نجد من أنفسنا أن نقدم على الفعل إذا زين لنا الغير ما نشتهيه ، وإن لم نعتقد أن الأمر كما قال ، ولعل كلام اللعين على هذا من قبيل المقدمات الشعرية أثار الشهوة حتى غلبت ، ونسى معها النهى فوقع الاقدام من غير روية " [٢].

وقد نسب الله تعالى إليه أيضا استزلال بعض المؤمنين فى غزوة أحد فتركوا أماكنهم ، أو تولوا منهزمين ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ** ﴾ [٣] .

أى إن المؤمنين الذين انهزموا أو تركوا أماكنهم يوم التقاء الجمعين من المسلمين والمشركين فى أحد ، إنما أوقعهم الشيطان فريسة له فى الزلل والخطأ ، بسبب بعض ما كسبوا من ذنوبهم .

قال الزمخشرى " ومعناه : أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب فى توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوباً ، فلذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا .

وقيل : استزلال الشيطان إياهم هو التولي ، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفا فيها "[٤] .

---

(١) معانى القرآن ٢/٣٢٧ .

(٢) روح المعانى ٨/١٠٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٥ .

(٤) الكشاف ١/ ٤٧٣ .

(٩، ١٠) التزيين والإغواء :

وقد أقسم اللعين – إبليس– على أن يفعل هذين الفعلين ببني آدم لإيقاعهم فى المعاصي، كما حكي القرآن عنه ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ{٣٩} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {٤٠}** ﴾ [١] .

والمعنى : أى قال إبليس عاتيا متمرداً : رب بسبب إغوائك وإضلالك إياى ، لأزينن لهم فى الأرض أى الدنيا لذرية آدم – عليه السلام– الأهواء ، وأحبب إليهم المعاصى، وأرغبهم فيها ، إلا المخلصين الذين أخلصوا لك فى الطاعة والعبادة ، واستثني المخلصين ، لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ، ولا يقبلون منه .

قال ابن عطية : ومعنى ﴿ **لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ أى الشهوات والمعاصى ، والضمير فى (لهم) لذرية آدم وإن كان لم يجر لهم ذكر ، فالقصة بجملتها حيث وقعت كاملة تتضمنهم ، و (الإغواء) الإضلال ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والحسن والأعرج (المخلصين) بفتح اللام ، أى الذين أخلصتهم أنت لعبادتك وتقواك، وقرأ الجمهور (المخلصين) بكسر اللام ، أى الذين أخلصوا الإيمان بك وبرسلك[٢] .

وقال الشوكانى "أى أقسم بإغوائك إياى لأزين لهم فى الأرض ، أى ماداموا فى الدنيا، والتزيين منه إما بتحسين المعاصى لهم ، وإيقاعهم فيها ، أو يشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها ، وإقسامه هاهنا بإغواء الله له لا ينافى إقسامه فى موضع آخر[٣] بعزة الله التى هى سلطانه وقهره ، لأن الإغواء له هو من جملة ما تصدق عليه العزة "[٤]

وقال سيد قطب " وبذلك حدد إبليس ساحة المعركة ، إنها الأرض ﴿ **لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ وحدد عدته فيها إنه التزيين ، تزيين القبيح وتجميله ، والإغراء بزينته

(١) سورة الحجر : آية ٣٩ – ٤٠ .

(٢) المحرر الوجيز ٣٦٢/٣ ، الفتوحات الإلهية ٥٤٥/٢– ٥٤٦ ، المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ٢٧١/٢، ٣٠٨.

(٣) فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {٨٣} ﴾. ص : ٨٢– ٨٣.

(٤) فتح القدير ١٣١/٣.

المصطنعة على ارتكابه ، وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان مسحة تزينه وتجمله ، وتظهره فى غير حقيقته ورذائله ، فليفطن الناس إلى عدة الشيطان ، وليحذروا كلما وجدوا فى أمر تزيينا ، وكلما وجدوا من نفوسهم إليه اشتهاء ، ليحذروا فقد يكون الشيطان هناك ، إلا أن يتصلوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فليس للشيطان – بشرطه هو – على عباد الله المخلصين من سبيل ﴿ **وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {٨٣}** ﴾ والله يستخلص لنفسه من عباده من يخلص نفسه لله ، ويجردها له وحده ، ويعبده كأنه يراه ، وهؤلاء ليس للشيطان عليهم من سلطان" [١].

وفى آيات سورة (ص) أقسم اللعين ، بعزة الله أنه يضل بني آدم بتزيين الشهوات لهم، وإدخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعا ، ثم لما علم أن كيده لا ينجع إلا فى أتباعه وأحزابه من أهل الكفر والمعاصى ، استثني من لا يقدر على إضلاله ولا يجد السبيل إلى إغوائه[٢] .

ومما يدل على جده واجتهاده فى التزيين والإغواء والاضلال لبنى آدم والترصد لهم فى كل طريق ، ليضلهم عن سواء السبيل ، قوله تعالي حكاية عنه : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {١٦} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {١٧}**﴾[٣]

والمعنى : أى كما أغويتنى أو أضللتنى ، لأ قعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية آدم على طريق الحق وسبيل النجاة والسعادة، ولأضلنهم عنها ، لئلا يعبدوك ولا يوحدوك، بسبب إضلالك إياى ، وذلك بأن أزين لهم طرقاً أخرى كلها ضلال وانحراف ، ثم لا أدع جهة من الجهات الأربع (اليمين والشمال و الأمام والخلف) إلا أتيتهم منها ، مترصدا لهم كما يترصد قاطع الطريق للمارة ، ولا تجد أكثرهم شاكرين لك نعمتك ، ولا مطيعين أوامرك ، وقول . إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم ، وقد وافق فى هذا الواقع ، وأصاب ما هو حاصل ، كما قال تعالي:﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**

(١) فى ظلال القرآن ٢١٤١/٤– ٢١٤٢.

(٢) انظر فتح القدير ٤٤٦/٤.

(٣) سورة الأعراف : آيه ١٦–١٧.

فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢٠} وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ {٢١}﴾[1] .

قال الألوس "ولا مانع عند أهل السنة أن يراد بالإغواء هنا خلق الغى بمعنى الضلال، أى بما أضللتني وهو المروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، ونسبة الاغواء بهذا المعنى إلى الله عز وجل مما يقتضيه عموم قوله سبحانه﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] والمعتزلة يأبون نسبة مثل ذلك إليه سبحانه وقالوا فى هذا تارة : إنه قول الشيطان فليس بحجة ، وأولوه أخرى بأن الإغواء النسبة إلى الغى كاكفره إذا نسبه إلى الكفر ، أو إنه بمعنى إحداث سبب الغى وإيقاعه وهو الأمر بالسجود، وقال بعضهم : إن الغى هنا بمعنى الخيبة أى بما خيبته من رحمتك، أو الهلاك أى بما أهلكته بلعنك إياه وطردك له(لأقعدن لهم)أى لآدم عليه السلام وذريته ترصداً بهم كما يقع القطاع للسابلة ﴿ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الموصل إلى الجنة وهو الحق الذى فيه رضاك ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أى من الجهات الأربع التى يعتاد هجوم العدو منها، والمراد لأسولن لهم ولأضلنهم بقدر الامكان إلا أنه شبه حال تسويله ووسوسته لهم كذلك بحال اتيان العدو لمن يعاديه من أى جهة أمكنته ، ولذا لم يذكر الفوق والتحت إذ لا إتيان منهما ، فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية و﴿لأقعدن لهم﴾ على ما قيل ترشيح لها ، وبعضهم لم يخرج الكلام على التمثيل واعتذر عن ترك جهة الفوق بأن الرحمة تنزل منها ، وعن ترك جهة التحت بأن الاتيان منها يوحش"[3] .

أقول : ولعله ترك جهة الفوق لأنها قبلة الدعاء الذى هو مخ العبادة ، وجهة التحت لأنها جهة السجود التى يكون العبد فيها أقرب ما يكون من ربه ، فلا يستطيع الشيطان أن يأتيه من هاتين الجهتين لأنه يكون فى غاية الإخلاص لله ، وقراءة (المخلصين) بكسر اللام فى قوله تعالي ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ تؤيد ذلك .

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٠- ٢١.

(٢) سورة الزمر : آيه ٦٢ ، غافر : آية ٦٢.

(٣) روح المعانى ٨ / ٩٤ – ٩٥ مختصرا .

ومما يدل على جده واجتهاده فى التزيين والإغواء والإضلال ، قوله تعالي فيما حكي الله عنه ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً {٦٢} ﴾[1] .

والمعنى : أى أخبرنى عن هذا الذى فضلته : لم كرمته على ، وأنا خير منه ، فإنه نسب الجور إلى ربه فى زعمه أنه أفضل من آدم بسبب عنصر الخلق ، فإن عنصر النار أسمى وأرفع ، وعنصر الطين أدنى وأقرب للخمول﴿ لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ أى قسماً لئن أبقيتني إلى يوم القيامة لأستأصلن ذريته بالإغواء ولأستولين عليهم بالإضلال جميعا ، أو لأضلن ذريته إلا قليلا منهم ، وهم العباد المخلصون الذين وصفهم الله تعالي بقوله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[2] أى إن عبادى الصالحين لا تقدر أن تغويهم .

قال القرطبي فى آية سورة الإسراء : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ " أى قال إبليس، والكاف توكيد للمخاطبة (هذا الذى كرمت على) أى فضلته على، ورأى جوهر النار خيرا من جوهر الطين ولم يعلم أن الجواهر متماثلة ، والإكرام : إسم جامع لكل ما يحمد،وفى الكلام حذف تقديره: أخبرنى عن هذا الذى فضلته على ، لم فضلته وقد خلقتنى من نار وخلقته من طين ؟ فحذف لعلم السامع ، وقيل : لا حاجة إلى تقدير الحذف ، أى أترى هذا الذى كرمته على لأ فعلن به كذا وكذا ، ومعنى (لأحتنكن) فى قول ابن عباس : لأستولين عليهم ، وقاله الفراء . مجاهد : لأحتوينهم . ابن زيد: لأضلنهم والمعنى متقارب ، أى لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال، ولأجتاحنّهم ، وروى عن العرب: إحتنك الجراد الزرع : إذا ذهب به كله ، وقيل : معناه : لأسوقنهم حيث شئت وأقودنهم حيث أردت . من قولهم : حنكت الفرس أحنكه وأحنُكه حنكا إذا جعلت فى فيه الرس[3] ، وكذلك احتنكه، والقول الأول قريب من هذا ، لأنه إنما يأتى على الزرع بالحنك (إلا قليلا) يعنى المعصومين ، وهم الذين ذكرهم الله فى قوله ﴿ إِنَّ عِبَادِي

---

(١) سورة الإسراء : آية ٦٢.

(٢) سورة الحجر : آيه ٤٢.

(٣) الرس : ما كان من الأزمة على الأنف المعجم الوسيط ١/ ٣٤٥.

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ وإنما قال إبليس ظنا ، كما قال الله تعالي﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أو علم من طبع البشر تركب الشهوة فيهم،أو بنى على قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[١]، وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس إلى آدم عليه السلام فلم يجد لم عزما "[٢].

ومما يدل على ذلك أيضا قول اللعين – إبليس – فيما أخبر الله عنه فى قوله ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[٣] .

والمعنى : ومن غلو الشيطان ودعوته إلى الفساد أنه أقسم ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أى لأجعلن تلامذة لى جزءاً مقدراً معلوماً من الناس ، وهذا مثل قوله تعالى حكاية عنه ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٣٩} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {٤٠}﴾ .

قال القرطبي " أى وقال الشيطان:لأستخلصنهم بغوايتى وأضلنهم بإضلالى ، وهم الكفرة والعصاة ، وفى الخبر (من كل ألف واحد لله والباقى للشيطان) . قلت – أى القرطبي – وهذا صحيح معنى ، يعضده قوله تعالى لآدم يوم القيامة﴿ابعث بعث النار﴾ فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول (من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) أخرجه مسلم، وبعث النار هو نصيب الشيطان ، والله أعلم ، وقيل : من النصيب طاعتهم إياه فى أشياء ، منها أنهم كانوا يضربون للمولود مسمارا عند ولادته ، ودورانهم به يوم أسبوعه ، يقولون : ليعرفه العُمَّار)[٤] .

وهذا الحديث الذى أشار إليه القرطبي فى الصحيحين وغيرهما. فقد أخرج البخارى[٥] – بسنده – عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" يقول الله: يا آدَمُ ،

---

(١) سورة البقرة : آيه ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/١٠/٥ ، وانظر المحرر الوجيز ٤٧٠/٣، فتح القدير ٢٤١/٣، ا التحرير والتنوير ١٥٠/١٥- ١٥١.

(٣) سورة النساء : آية ١١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/٥/٣، المحرر الوجيز ١٤٤/٢، وعمار البيوت سكانها من الجن أى الحيات .

(٥) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب قوله عز وجل (إن زلزلة الساعة شئ عظيم) ٢٠٤٦/٤ رقم ٦٥٣٠ ، صحيح مسلم – كتاب الإيمان– باب قوله (يقول الله لآدم أخرج بعث=

فيقولُ: لبَّيْك وسَعْدَيْكَ والخيرُ فى يَدَيْك ، قال : يقولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النار ، قال : وما بَعْث النار ؟ قال : من كلّ ألف تِسْعَمائه وتسعةً وتسعين ، فذاك حين يشيبُ الصغيرُ ، وتَضَعُ كُلُّ ذات حملٍ حملها ، وترى الناس سكْرَى وما هم بسكْرى ، ولكن عذاب الله شديد " فاشتد ذلك عليهم فقالوا : يا رسول الله ، أينا ذلك الرجل ؟ قال : " أبشروا فإن من يأجوجَ ومأجوجَ ألفا ومنكم رجل ، ثم قال: والذى نفسى بيده ، إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنه" قال : فحمدنا الله وكبرنا ، ثم قال : " والذى نفسى بيده ، إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود، أو كالرقمة فى ذِرَاع الحِمَار "

وقد نسب الله– تعالي– تزيين الأشياء إلى نفسه فى مواضع وإلى الشيطان فى مواضع، وفى أماكن ذكره غير مسمى فاعله ، قال تعالى فى الإيمان﴿وإذ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١]، وفى الكفر﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٢]،ومما نسبه إلى الشيطان﴿واذ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣]، ومما لم يسم فاعله﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾[٤] ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[٥] أى زينه شركاؤهم[٦].

(١١) الكذب :

وهو خلق مرذول من أخلاق اللعين – إبليس – وله أثره فى كيده للإنسان ، نستنبطه من قوله تعالى﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٧] ، بل هو أسوأ أنواع الكذب ، لأنه حلف بالله كاذباً ، فقد أقسم اللعين لآدم وحواء عليهما السلام حينما وسوس لهما

= النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) ١٧٠/١ رقم ٢٢٢، مسلم بشرح النووى – باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ٩٧/٣/١- ٩٨، المستدرك – كتاب التفسير ٢٤٥/٢.

(١) سورة الحجرات : آيه ٧.

(٢) سورة النمل : آيه ٤.

(٣) سورة الأنفال : آيه ٤٨.

(٤) سورة آل عمران : آيه ١٤.

(٥) سورة الأنعام : آيه ١٣٧، وهذه القراءة نسبها أبو حيان فى البحر ٤/ ٢٢٩ إلى السلمي والحسن وأبى عبدالملك صاحب ابن عامر ، وهي من القراءات الشاذة .

(٦) انظر بصائر ذوى التمييز ١٥٦/٣.

(٧) سورة الأعراف : آيه ٢١.

وأغراهما بالأكل من الشجرة أنه لهما من الناصحين ، ولم يك ناصحا ، وإنما كان كاذباً ، ولأنه لو كان صادقا فيما قال لهما لأكل هو من الشجرة ، طلبا للخلود ، ولم يسأل الله أن ينظره إلى يوم يبعثون ، ومما يدل على ذلك قوله تعالي﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ أى مازال يخدعهما ويغريهما بالترغيب فى الأكل من الشجرة ، وبالوعد ، وبالقسم بالأيمان المغلظة ، حتى نسيا أن الله أخبرهما أنه عدو لهما ، وتمكن من زحزحتهما وإسقاطهما من منزلتهما عند الله بسبب طاعتهما ، بما غرهما به من اليمين وزين لهما، كما قال تعالي﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1] .

وقد نوهت إلى استنباط هذا الخلق سابقا فى ادعائه أنه خير من آدم–عليه السلام– وقوله﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ فقد كذب فى هذا القول أيضا، لأنه ليس خيرا من آدم عليه السلام لأن آدم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وفضله على كثير من خلقه ، أما اللعين فلم يخصه الله بشئ من ذلك ، فمن أين تأتي أفضليته على آدم عليه السلام ؟.

وقد أخطأ عدو الله فى تعليله ما ادعاه من الخيرية بقوله ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2] لأنه رأي أن النار المخلوق منها أشرف من الطين الذى خلق منه آدم ، لعلوها وصعودها وخفتها ، ولأنها جوهر مضئ ، والأشرف لا يليق به الانقياد لمن هو دونه.

أخرج ابن جرير الطبري[3]– بسنده – عن الحسن فى قوله﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ قال : قاس إبليس وهو أول من قاس .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية[4]عن جعفر بن محمد عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس. قال الله له : اسجد لآدم . فقال﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ قال جعفر : فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس ، لأنه أتبعه بالقياس .

---

(١) سورة طه : آيه ١١٥.

(٢) سورة الأعراف : آيه ١٢.

(٣) جامع البيان ٩٨/٨/٥، الدر المنثور ٤٢٥/٣.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٩٧/٣ رقم ٢٢٦ ، الدر المنثور ٤٢٥/٣.

إن قياس إبليس هو القياس الفاسد المصادم للنص ، أما القياس الصحيح الموافق للنص فيجب العمل به شرعا ، لا نسجامه مع النصوص .

قال الطبرى " الاجتهاد والاستنباط من كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأمة ، هو الحق الواجب ، والغرض اللازم لأهل العلم "[1] .

وبذلك جاءت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة الصحابة والتابعين.

قال العلامة الحافظ ابن كثير " وقول إبليس – لعنه الله – ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ من العذر الذى هو أكبر من الذنب ، إذ بين بأنه خير من آدم لأنه خلق من النار و آدم خلق من الطين ، فنظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف العظيم ، وهو أن الله – تعالى – خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وقاس قياساً فاسداً فى مقابلة نص، وهو قوله تعالي﴿ فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ فشذ من بين الملائكة لترك السجود فأبعده الله عن رحمته ، وكان قياسه فاسداً لأن النار ليست أشرف من الطين ، فإن الطين من شأنه الرزانة والأناة والتثبت ، وهو محل النبات والنمو والزيادة والاصلاح،والنار من شأنها الاحراق والطيش والسرعة ، ولهذا خان إبليس عنصره،ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله ، وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم "[2] .

وقال الإمام الشوكانى" وقد أخطأ عدو الله فإن عنصر الطين أفضل من عنصر النار من جهة رزانته وسكونه وطول بقائه وهى حقيقة مضطربة سريعة النفاذ ، ومع هذا فهو موجود فى الجنة دونها ، وهى عذاب دونه، وهى محتاجة إليه لتتحيز فيه ، وهو

---

(١) جامع البيان ١٧/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٠٣/٢ بتصرف وتلخيص ، وهذا الحديث الذى أشار إليه ابن كثير أخرجه مسلم – كتاب الزهد والرقائق – باب فى أحاديث متفرقة ١٨١٤/٤رقم ٢٩٩٦ .

مسجد وطهور ، ولو لا سبق شقاوته وصدق كلمة الله عليه لكان له بالملائكة المطيعين لهذا الأمر أسوة وقدوة ، فعنصرهم النورى ، أشرف من عنصره النارى"[١] .

وقال العلامة الألوسى " وقد أخطأ اللعين فإن كون النار أشرف من التراب ممنوع ، فإن كل عنصر من العناصر الأربع يختص بفوائد ليست لغيره و كل منها ضرورى فى هذه النشأة ، ولكل فضيلة فى مقامه وحاله ، فترجيح بعضها على بعض تطويل بلا طائل على أن من نظر إلى الأرض أكثر منافع للخلق ، لأنها مستقرهم ، وفيها معايشهم – وأنها متصفة بالرزانة ، التى هى من مقتضيات الحلم والوقار ، وإلى النار دونها فى المنافع وأنها متصفة بالخفة التى هى من مقتضيات الطيش والاستكبار والترفع ، علم ما فى كلام اللعين ، وأيضا شرف الأصل لا يوجب شرف الفرع .

إنما الورد من الشوك ولا ينبت النرجس إلا من بصل

ويكفى فى ذلك أنه قد يخرج الكافر من المؤمن – كما فى نوح عليه السلام وابنه ، والمؤمن من الكافر كما فى إبراهيم عليه السلام وأبيه ، وأيضا قد خص الشرف بما هو من جهة المادة والعنصر مع أن الشئ كما يشرف بمادته وعنصره يشرف بفاعله وغايته وصورته ، وهذا الشرف فى آدم عليه السلام دونه ، فإن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة فى الأرض كما قص سبحانه لما أودعه فيه "[٢] .

هذا ، وللمفسرين كلام كثير فى تفضيل الطين على النار ، لكنى ألفت النظر إلى أن الله عز وجل شرف آدم عليه السلام وكرمه بكرامة لا يوازيها شئ من شرف العناصر .

وقد نوهت إلى استنباط خلق الكذب عند كلامي عن خلق إخلاف الوعد ، فى تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[٣]. وذلك حين رأى اللعين جند الملائكة مع المؤمنين – فى غزوة بدر – نكص على عقبيه وولى هارباً وخذل المشركين ، وأخلفهم ما وعدهم به من النصر، وبهذا فقد ظهر كذبه ، حيث قال لهم

(١) فتح القدير ١٩١/٢– ١٩٢ .
(٢) روح المعاني ٨٩/٨ .
(٣) سورة الأنفال : آيه ٤٨ .

﴿ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ ولم يكن الأمر كذلك ، وصدق الله العظيم ، فقد قال عنه﴿ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[١] أى باطلا .

قال القرطبي : قول تعالي﴿وَعَدَهُمْ﴾ أى منهم الأمانى الكاذبة، وأنه لا قيامة ولا حساب، وأنه إن كان حساب وجنة ونار فأنتم أولي بالجنة من غيركم ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ أى باطلا "[٢].

هل للشيطان سلطان على بنى آدم أم لا ؟

قال الله تعالي ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[٣] .

المعنى : أى إن عبادى المؤمنين المخلصين أو غير المخلصين ، أو الذين قدرت لهم الهداية ، لا سلطان لك على أحد منهم ، ولا سبيل لك عليهم ، ولا وصول لك إليهم إلاَّ ﴿ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ استثناء منقطع ، أى لكن الذين اتبعوك من الضالين المشركين باختيارهم ، فلك عليهم سلطان ، بسبب كونهم منقادين لك فى الأمر والنهي، والدليل قوله تعالى﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٤] .

ونظير الآية : قوله عز وجل﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٩٩} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٥] .

قال القرطبي : قوله ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ..... ﴾ " قال العلماء : يعنى على قلوبهم . وقال ابن عيينة : أى فى أن يلقيهم فى ذنب يمنعهم عفوى ويضيقه عليهم، وهؤلاء الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم .

قلت – أى القرطبي – لعل قائلا يقول : قد أخبر الله عن صفة آدم وحواء عليهما السلام بقوله﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾[٦]، وعن جملة من أصحاب نبيه بقوله﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ

(١) سورة الإسراء : آيه ٦٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٠/٥ .
(٣) سورة الحجر : آيه ٤٢ .
(٤) سورة النحل : آيه ١٠٠ .
(٥) سورة النحل : آيه ٩٩– ١٠٠ .
(٦) سورة البقرة : آيه ٣٦ .

الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾[1] فالجواب ما ذكر، وهو أنه ليس له سلطان على قلوبهم، ولا موضع إيمانهم ، ولا يلقيهم فى ذنب يؤول إلى عدم القبول ، بل تزيله التوبة وتمحوه الأوبة ، ولم يكن خروج آدم عقوبة لما تناول[2]، وأما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى القول عنهم فى آل عمران[3] ثم إن قوله سبحانه ﴿ **لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ يحتمل أن يكون خاصًا فيمن حفظه الله ، ويحتمل أن يكون فى أكثر الأوقات والأحوال ، وقد يكون فى تسلطه تفريج كربة وإزالة غمة، كما فعل ببلال ، إذ أتاه يهديه كما يهدى الصبى حتى نام[4] ، ونام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس ، وفزعوا وقالوا : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا فى

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٥ .

(٢) انظر صـ ٧٠ .

(٣) فى قوله تعالي :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ آيه : ١٥٥ ، والمراد من تولي عن المشركين يوم أحد، عن عمر رضى الله عنه : يعنى من هرب إلى المدينة فى وقت الهزيمة دون من صعد الجبل وقيل : هى فى قوم بأعيانهم تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فى وقت هزيمتهم ثلاثة أيام ثم انصرفوا ، ومعنى ﴿**اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ**﴾ استدعى زللهم بأن ذكرهم خطايا سلفت منهم ، فكرهوا الثبوت لئلا يقتلوا ، وهو معنى﴿**بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ**﴾وقيل﴿**اسْتَزَلَّهُمُ**﴾ حملهم على الزلل، وهو استفعل من الزلة وهى الخطيئة، وقيل: زل وأزل بمعنى واحد. ثم قيل: كرهوا القتال قبل إخلاص التوبة ، فإنما تولوا لهذا ، وهذا على القول الأول ، وعلى الثاني بمعصيتهم النبى ﷺ فى تركهم المركز وميلهم إلى الغنيمة. وقال الحسن﴿**مَا كَسَبُواْ**﴾ قبولهم من إبليس ما وسوس إليهم . وقيل : لم يكن الانهزام معصية ، لأنهم أرادوا التحصن بالمدينة ، فيقطع العدو طمعه فيهم لما سمعوا أن النبي ﷺ قتل . ويجوز أن يقال : لم يسمعوا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للهول الذى كانوا فيه ، ويجوز أن يقال : زاد عدد العدو علىٰ الضعف ، لأنهم كانوا سبعمائة والعدو ثلاثة آلاف . وعند هذا يجوزا الانهزام ولكن الانهزام عن النبى صلى الله عليه وسلم خطأ لا يجوز ، ولعلهم توهموا أن النبي صلى الله عليه وسلم انحاز إلى الجبل أيضا. وأحسنها الأول . الجامع لأحكام القرآن ٤/٢/١٨٨ .

(٤) أخرجه مالك فى الموطأ (٢٦) فى كتاب وقوت الصلاة ، باب (٦) النوم عن الصلاة ، بلفظ : ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر فقال " إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلى فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدى الصبى حتى نام " .

صلاتنا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم " ليس فى النوم تفريط "[1]، ففرج عنهم (إلا من اتبعك من الغاوين) أى الضالين المشركين : أى سلطانه على هؤلاء ، دليله ﴿ **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾[2][3].

وقال الشوكانى " المراد بالعباد هنا هم المخلصون ، والمراد أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم فى ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه ، فلا ينافى هذا ما وقع من آدم وحواء ونحوهما ، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة عنه (إلا من اتبعك من الغاوين) استثنى سبحانه من عباده هؤلاء ، وهم المتبعون لإبليس من الغاوين عن طريق الحق الواقعين فى الضلال ، وهو موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله : ﴿ **لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ ويمكن أن يقال : إن بين الكلامين فرقاه : فكلام الله سبحانه فيه نفى سلطان إبليس على جميع عباده إلا من اتبعه من الغاوين ، فيدخل فى ذلك المخلصون وغيرهم ممن لم يتبع إبليس من الغاوين ، وكلام إبليس اللعين يتضمن إغواء الجميع إلا المخلصين ، فدخل فيهم من لم يكن مخلصاً ولا تابعاً لإبليس غاوياً ، والحاصل أن بين المخلصين والغاوين التابعين لإبليس طائفة لم تكن مخلصة ولا غاوية تابعة لإبليس ، وقد قيل إن الغاوين المتبعين لإبليس هم المشركون، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾ [4].

---

(١) هذا الجزء من الحديث من رواية النسائى التى أخرجها فى المواقيت (١ / ٢٩٧) باب : كيف يقضى الفائت من الصلاة ، وأبو داود فى (كتاب الصلاة) باب : فى من نام عن الصلاة أو نسيها ١ / ١ / ١١٩ رقم ٤٣٧ ، والترمذى فى (أبواب الصلاة) باب : ما جاء فى النوم عن الصلاة ١ / ١١٤ رقم ١٧٧ ، وأصل الحديث عند البخارى فى (كتاب مواقيت الصلاة) باب : الأذان بعد ذهاب الوقت ١ / ١٩٣ رقم ٥٩٥ ، ومسلم فى (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) باب : قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ١ / ٣٩٥ – ٣٩٦ رقم ٦٨١ .

(٢) سورة النحل : آية ١٠٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٠ / ٢١ – ٢٢ .

(٤) فتح القدير ٣ / ١٣٢ ، وانظر الفتوحات الإلهية ٢ / ٥٤٦ .

وقال سبحانه:﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٩٩} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (١).

فتضمن أمرين :

الأول : نفى سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص . والثانى : إثبات سلطانه على أهل الشرك ومن تولاه . فإن قيل : هذا يشكل بقوله فى سورة سبأ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢٠} وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (٢).

فقد نفى هنا أن يكون له سلطان عليهم وهو ينافى قوله : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ .

فما الجامع ؟

قال ابن قتيبة : إن إبليس لما سأل الله النظرة – أى الإمهال – فأنظره . قال : لأغوينهم ولأضلنهم ولآمرنهم ولأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . وهو – فى وقت هذه المقالة – لم يتيقن أن ذلك يتم له . وإنما قاله ظاناً فلما اتبعوه وصدق عليهم ما ظنه فيهم . فقال الله ما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين . يعنى نعلمهم موجودين ظاهرين فيحق القول ويقع الجزاء . وحينئذ يكون السلطان هنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها وهم الذين تولوه وأشركوا به فيكون السلطان ثابتا لا منفيا فاتفقت الآيات .

فإن قيل : فما تصنع بقوله تعالى فى سورة إبراهيم عن الشيطان حيث يقول لأهل النار ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ... ﴾ (٣).

وإن كان هذا قول الشيطان فقد أخبر الله عنه مقرراً لا منكرا فدل على أنه كذلك .

(١) سورة النحل : آية ٩٩ – ١٠٠ .

(٢) سورة سبأ : آية ٢٠ – ٢١ .

(٣) سورة إبراهيم : آية ٢٢ .

قلنا : السلطان المنفى هنا فى هذا الموضع هو الحجة والبرهان : أى ما كان لى من حجة وبرهان أحتج به عليكم . إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى وصدقتم مقالتى واتبعتمونى فلا برهان ولا حجة .

وأما السلطان الذى أثبته فى قوله : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ فهو تسليطه عليهم بالإغواء والإضلال وتمكنه منهم بحيث يؤزهم إلى الكفر والشرك ويزعجهم إليه كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (١). قال ابن عباس : تغريهم إغراء ، والأز معنيان : التحريك والغليان .

فإن قيل : إذا لم يكن للشيطان سلطان على المطيعين ولا المؤمنين ولا أهل العصمة فكيف حدث ما جرى لآدم وحواء ؟ وقول موسى – عليه السلام – حين قتل النفس : هذا من عمل الشيطان . وما جرى مع رسول الله ﷺ وأصحابه حين ناموا عن الصلاة حتى طلعت الشمس واستيقظوا فزعين ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى وقال : " إن هذا وادٍ به شيطان " فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضأوا وأمر بلالاً لأن ينادى بالصلاة أو يقيم فصلى رسول الله ﷺ بالناس ثم انصرف إليهم وقد رأى من فزعهم فقال : يأيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا فى حين غير هذا فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع إليها فليصلها كما كان يصليها فى وقتها .

ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبى بكر فقال : " إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلى فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبى حتى نام " ثم دعا رسول الله ﷺ بلالاً فأخبر بلال رسول الله ﷺ مثل الذى أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله (٢).

(١) سورة مريم : آية ٨٣ .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (٢٦) فى كتاب وقوت الصلاة ، باب (٦) النوم عن الصلاة ص ١٣ .

وقول الله – تعالى – عن نفر أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١).

قلنا : معنى الآية – آية الحجر المذكورة – عند أهل العلم : ليس له سلطان على قلوبهم ولا مواضع إيمانهم ولا يلقيهم فى ذنب يؤول إلى عدم القبول ، بل تزيله التوبة وتمحوه الأوبة ، ولم يكن خروج آدم عقوبة لما تناول كما نص على ذلك القرطبى (٢).

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٥ .

(٢) المختار من كتاب مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ، ص ٥٨ – ٦٢ مختصرا .

التحصن من الشيطان بذكر الله

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (١).

أوضح الله تعالى طريق التخلص من وساوس الشيطان ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ ... ﴾ أى إن عباد الله المتقين ، الذين أطاعوه فيما أمر ، وصانوا أنفسهم عن كل ما يغضبه إذا مسهم شىء من وسوسة الشيطان ونزغاته التى تلهيهم عن طاعة الله ومراقبته (تذكروا) أى : تذكروا أن هذا المس إنما هو من عدوهم الشيطان فعادوا سريعا إلى طاعة الله ، وإلى خوف مقامه ونهى أنفسهم عن اتباع همزات الشياطين .

وفى قوله (إذا مسهم طائف) إشعار بعلو منزلتهم ، وقوة إيمانهم ، وسلامة يقينهم ، لأنهم بمجرد أن تطوف بهم وساوس الشيطان أو بمجرد أن يمسهم شىء منه فإنهم يتذكرون عداوته ، فيرجعون سريعا إلى حمى ربهم يستجيرون به ويتوبون إليه .

وفى التعبير عن الوسوسة بالطائف إشعار بأنها وإن مست هؤلاء المتقين فإنها لا تؤثر فيهم ، لأنها كأنها طافت حولهم دون أن تصل إليهم .

وقوله : (فإذاهم مبصرون) أى : فإذاهم مبصرون مواقع الخطأ ، وخطوات الشيطان ، فينتهون عنها .

ومن المعروف أن للإنسان نزعة إلى الخير ونزعة إلى الشر ، وبمقدار ما يجاهد به نفسه ، ويتغلب على هوى نفسه ، ووسوسة شيطانه ، كان مثاباً مقرباً إلى الله تعالى . جاء فى حديث عبدالله بن مسعود الذى أخرجه الترمذى (٢) عن النبى ﷺ قال : إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله على ذلك ، ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) .

(١) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٦ .

قال ابن مفلح : فى هذه الآية فوائد كثيرة :

منها : أن أصل المتقين السلامة منه – أى من الشيطان – وإن عرض طيف فى بعض الأحيان .

ومنها : أن المس ملامسة من غير تمكن ، لا كالكفار فإن الشيطان يتجرأ عليهم ، ويختلس من قلوب المتقين المؤمنين حين تنام العقول الحارسة للقلوب ، فإذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة إلى الله – تعالى – والافتقار ، فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما افترسه .

ومنها : أنه أشار بالطيف إلى أنه لا يمكن أن يأتى القلوب الدائمة المتيقظة ، إنما يأتى القلوب فى حين منامها يرجو غفلتها ، ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه .

ومنها : أن الطيف لا ثبوت له بخلاف الوارد ، وذلك لا يضر لأنه يشبه الطيف الذى فى منامك فإذا استيقظت فلا وجود له .

ومنها : أنه قال (تذكروا) ولم يقل (ذكروا) إشارة إلى أن الغفلة لا يطردها الذكر ، إنما يطردها التذكر والاعتبار لأن الذكر ميدانه اللسان والتذكر ميدانه القلب .

ومنها : أنه قال (تذكروا) وحذف متعلقه ، ولم يقل تذكروا الجنة والنار أو العقوبة ، لأن التذكر الماضى لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب المتقين.

ومرتبة التقوى يدخل فيها الأنبياء والرسل والصديقون والأولياء والصالحون فتقوى كل واحد على حسب مقامه ، فلو ذكر قسما من أقسام التذكر لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم .

ومنها : قوله سبحانه (فإذا هم مبصرون) كأنه لم يذكر أعلى من ذلك منا منه سبحانه عليهم ، كأنهم لما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة فأشرقت شمس البصيرة .

ومنها : التوسعة على المتقين ، لأنه لو قال : إن الذين اتقوا لا يمسهم طيف من الشيطان خرج كل أحد إلا أهل العصمة فأراد سبحانه أن يوسع دوائر رحمته [1].

أخرج البخارى [2] – بسنده – عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل

(١) انظر المختار من كتاب مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ص ٦٤ – ٦٥ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب الدعوات – باب : فضل التهليل ٤ / ٢٠١٠ رقم ٦٤٠٣ ، صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٤ / ١٦٤٤ – ١٦٤٥ رقم ٢٦٩١ .

شىء قدير ، فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه .

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إذا خرج الرجل من منزله فقال " بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله " يقال له : " هديت ووقيت وكفيت " قال : فيلقى الشيطان فيقول له : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى [1].

إلى هنا نكتفى بهذا القدر من حديث القرآن عن الشيطان ، وأسأل الله العلى القدير أن يجعل هذا العمل خالصا ابتغاء مرضاة الله ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

(١) سنن الترمذى – أبواب الدعوات ٥ / ١٨٧ .

نتائج البحث

بعد هذا الاستعراض المختصر لهذا البحث ، توصلت إلى النتائج التالية :

١- عنى كثير من علماء الأمة بتتبع أساليب الشيطان فى الكيد والتآمر وطرائقه فى الوسوسة والتلبيس ، كى يفضحوها أمام جمهرة المؤمنين ، وبينوا كيف تكون مقاومته ودحره .

٢- الشيطان وإبليس هما أشهر أسماء الشيطان ، وقد وردت له أسماء أخرى فى القرآن الكريم .

٣- الله عز وجل ذكره أولا باسم إبليس ، فلما أبى السجود وتمرد على أمر ربه ، ذكره باسم الشيطان ، الذى يدل على التمرد والعتو والإباء ، والبعد عن رحمة الله .

٤- سلط الله الشيطان على الناس إلا من عصمه الله ، للمجاهدة والفتنة والاختبار .

٥- حذرنا الله – تبارك وتعالى – من كيد الشيطان ومكره ، وبين لنا أنه عدونا الذى يرانا ولا نراه ، فينبغى أن نتيقظ له ونبادله عداء بعداء .

٦- جاء النهى صراحة عن عبادة الشيطان .

٧- طعن الشيطان للأنبياء غير عيسى ليس فيه نقص لهم ، ولا ينافى عصمتهم منه، لأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه ، والطعن من قبيل الأمراض والآلام المتعلقة بظاهر البدن ، والأنبياء غير معصومين من مثل هذا .

٨- الأمة مجتمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان ، فى جسمه وخاطره ولسانه.

٩- أرشدنا الله عز وجل إلى الالتجاء إليه ، والاستعاذة به من شر الشيطان الرجيم إذا أردنا أن نقرأ القرآن الكريم .

١٠-الشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان ، وقلبه بالوسوسة ، وهى طريقة لا ندركها ولا نعرفها على الحقيقة ، ولكننا نجد آثارها فى واقع النفوس وواقع الحياة ، يساعده على ذلك طبيعته التى خلقه الله عليها .

١١-إبليس اعترض على الخالق جل وعلا ، ورد الأمر على الآمر ، وأنكر عليه أن يأمره بالسجود لمن هو أقل منه شأناً فى زعمه .

١٢-كما أن الله عز وجل قد بين لنا أسماء الشيطان فى القرآن ، كذلك بين لنا صفاته الخبيثة ، وأفعاله السيئة ، وأساليبه فى الوسوسة ، والإغواء ، والتزيين والاضلال ، لنعلم حقيقته ، فنحذره .

١٣-جمهور العلماء على أن الشيطان يستطيع أن يتخبط الإنسان ويمسه ، ويصيبه بنوع من الصرع والجنون ، وقد ثبت إثبات التخبط والمس من الشيطان للإنسان من القرآن والسنة وأقوال العلماء .

١٤-الوسوسة أخطر أفعال الشيطان بالإنسان ، وأول من وقعت له الوسوسة من الشيطان آدم وحواء عليهما السلام .

١٥-الله سبحانه وتعالى نفى سلطان إبليس على جميع عباده إلا من اتبعه من الغاوين.

١٦-التحصن من الشيطان بذكر الله .

١٧-يمدح الله تعالى عباده المؤمنين ، الذين اتبعوا تعاليمه وأعرضوا عن عبادة الأصنام والشيطان وأقبلوا على عبادة الله معرضين عما سواه ، هؤلاء لهم البشرى بالثواب الجزيل من الله تعالى ، إما على ألسنة رسله عليهم السلام ، أو حين الموت ، أو عند البعث .

أسماء المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إحياء علوم الدين ، للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى " ت ٥٠٥ هـ "، وبذيله كتاب المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبى الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقى " ت ٨٠٦ هـ " .

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبى السعود محمد بن محمد العمادى " ت ٩٥١ هـ " ، الناشر مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد – القاهرة.

٤- أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين ، عبدالفتاح القاضى ، مؤسسة دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

٥- أسباب النزول ، للإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى " ت ٤٦٨ هـ " تحقيق أيمن صالح شعبان ، دار الحديث – القاهرة .

٦- إعراب القرآن وبيانه ، محيى الدين الدرويش ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الخامسة ١٩٩٦م .

٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لأبى عبدالله محمد بن قيم الجوزية "ت٧٥١هـ " تحقيق عبدالحكيم محمد عبدالحكيم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

٨- بحر العلوم ، لأبى الليث نصر بن محمد السمرقندى " ت ٣٧٥ هـ " ، تحقيق على محمد معوض ، عادل أحمد عبدالموجود ، والدكتور زكريا عبدالمجيد النوبى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٩- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان " ت ٧٥٤ هـ " ، الناشر دار الكتاب الاسلامى – القاهرة .

١٠- البرهان فى متشابه القرآن ، محمود حمزة الكرمانى " ت ٥٠٥ هـ " ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

١١- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، محمد بن يعقوب الفيروزابادى " ت ٨١٧ هـ " تحقيق محمد على النجار ، المكتبة العلمية – بيروت .

١٢- التبيان فى إعراب القرآن، لأبى البقاء عبدالله بن الحسين العكبرى " ت ٦١٦هـ" تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيل ، بيروت .

١٣- التحرير والتنوير ، محمد بن الطاهر بن عاشور .

١٤- التذكرة فى القراءات الثمان ، لأبى الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون المقرى الحلبى " ت ٣٩٩هـ " ، تحقيق أيمن رشدى سويد ، الطبعة الأولى ١٩٩١م .

١٥- التعريفات ، على بن محمد بن على الجرجانى " ت ٨١٦ هـ " ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م .

١٦- تفسير آيات الأحكام ، محمد على السايس ، خرج أحاديثه زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٧- تفسير القرآن العظيم ، للإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير " ت ٧٧٤ هـ " دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

١٨- التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ، الدكتور وهبة الزحيلى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩١م .

١٩- تلبيس إبليس ، للإمام العلامة ، جمال الدين ، أبو الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد القرشى التيمى البكرى بن الجوزى البغدادى ، تحقيق هانى الحاج ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

٢٠- جامع البيان فى تأويل القرآن، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى " ت٣١٠هـ" دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢١- الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ، للإمام جلال الدين السيوطى " ت ٩١١ هـ " دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٢- الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى " ت ٦٧١ هـ " دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى .

٢٣- الحجة للقراء السبعة ، لأبى على الحسن الفارسى " ت ٣٧٧ هـ " تحقيق بدر الدين قهوجى ، بشير جويجاتى ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٢٤- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى " ت ٧٥٦ هـ " تحقيق الدكتور أحمد الخراط ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ .

٢٥- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطى " ت ٩١١ هـ" دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٢٦- دلائل النبوة ، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى " ت ٤٥٨ هـ " تحقيق الدكتور عبدالمعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٧- روح البيان ، إسماعيل حقى البروسوى " ت ١١٣٧ هـ "

٢٨- روح المعانى ، لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى " ت ١٢٧٠هـ" دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م .

٢٩- سنن أبى داود ، للإمام الحافظ أبى داود سليمان السجستانى " ت ٢٧٥ هـ " دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٠- سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزوينى " ت ٥٧٥ هـ " تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية .

٣١- سنن الترمذى ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذى " ت ٢٧٩ هـ " تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٣٢- سنن النسائى ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى ، دار الحديث ، القاهرة .

٣٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض " ت ٥٤٤ هـ " تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة .

٣٤- صحيح البخارى ، للحافظ أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى " ت ٢٥٦هـ" المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٣٥- صحيح مسلم ، للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى " ت ٢٦١ هـ" دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٦- صحيح مسلم ، بشرح النووى ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

٣٧- غرائب آى التنزيل ، للإمام زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى ، تحقيق د/ عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودى ، الناشر ، دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .

٣٨- فتح البارى ، بشرح صحيح الإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى " ت ٨٥٢ هـ " دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

٣٩- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن ، للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى ، تحقيق الشيخ محمد على الصابونى ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٤٠- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن على الشوكانى " ت ١٢٥٠ هـ " دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٤١- الفتوحات الإلهية ، سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل " ت ١٢٠٤ هـ " مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر .

٤٢- فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة السابعة عشر .

٤٣- القاموس القويم للقرآن الكريم ، إبراهيم أحمد عبدالفتاح ، مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٣م .

٤٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشرى " ت ٥٣٨هـ " دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٤٥- لسان العرب ، لابن منظور " ت ٧١١ هـ " الناشر دار المعارف ، القاهرة .

٤٦- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمى " ت ١٣٣٢ هـ " تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، دار الفكر ، بروت .

٤٧- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز " ت ٥٤٦ هـ " تحقيق عبدالسلام عبدالشافى محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٨- مختار الصحاح ، للإمام محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى ، بيروت ، لبنان ١٩٨٩م .

٤٩- المختار من كتاب مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ، للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن مفلح ، تعليق الشيخ السيد عبدالمقصود عسكر ، هدية مجلة الأزهر ، رجب ١٤١٩ هـ .

٥٠- مختصر تفسير البغوى ، المسمى " معالم التنزيل " للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى " ت ٥١٦ هـ " تعليق الدكتور عبدالله بن أحمد ابن على الزيد ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

٥١- المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ أبى عبدالله الحاكم النيسابورى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٥٢- معانى القرآن وإعرابه للزجاج " ت ٣١١ هـ " تحقيق د/ عبدالجليل عبده شلبى، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٥٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقى ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

٥٤- المعجم الوسيط ، مجمع البحوث الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة .

٥٥- المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ، الدكتور محمد سالم محيسن ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م .

٥٦- مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى الشافعى " ت ٦٠٤ هـ " دار الغد العربى ، القاهرة .

٥٧- المفردات فى غريب القرآن ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى بمصر، الطبعة الأخيرة ١٩٦١ م .

٥٨- نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر ، عبدالرحمن بن الجوزى " ت ٥٩٧ هـ " تحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضى ، مؤسسة الرسالة ، ١ بيروت ، الطبعة الثالثة .

٥٩- الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ، لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى " ت ٤٦٨ هـ " تحقيق عادل عبدالموجود ، على محمد معوض ، د/ أحمد محمد صيرة ، د/ أحمد الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

فهرس البحث

	الصفحة
- المقدمة .	٢
- أسماء الشيطان فى القرآن	٤
- الشيطان	٤
- الفرق بين الشياطين والجن	٦
- إبليس	٦
- إبليس من الملائكة أم من الجن ؟	٩
- الوسواس	١٢
- الطاغوت	١٥
- الغرور (بفتح الغين)	٢٤
- القرين	٢٧
- من صفات الشيطان	٣٤
- الإباء	٣٤
- الاستكبار	٣٥
- الكفر	٣٧
- الفسق	٤١
- اللعن	٤٣
- الرجيم	٤٥
- التمرد	٤٩
- العناد وسوء الأدب	٥٠
- المذؤوم المدحور	٥٣
- من مكايد الشيطان	٥٣
- النزغ	٥٣
- إخلاف الوعد	٥٦
- الهمز	٦١

الصفحة

- الكيد ٦٢
- الخبط والمس ٦٤
- الوسوسة ٦٩
- الإزلال والتدلية ٧٠
- التزيين والإغواء ٧٣
- الكذب ٧٨
- هل للشيطان سلطان على بنى آدم ؟ ٨٢
- التحصن من الشيطان بذكر الله ٨٨
- نتائج البحث ٩١
- المصادر والمراجع ٩٣
- فهرس البحث ٩٨

١

حولي أصول دين الصف (٢) الجزء (١)

فهرست الأبحاث

م	اسم البحث	رقم الصفحة
	مقدمة.	
١	التعددية المذهبية وموقفنا منها.	١
٢	الغلو فى الدين أو التطرف في ميزان الدعوة الإسلامية.	١٥
٣	الأصوات المرتفعة بين القرآن وعلم المشكلة والحل.	١٠٥
٤	الأمة الوسط بين الأمم	١٤٣
٥	طنين الذباب من حفيد مسيلمة الكذاب	٢٠٧
٦	حكم الرواة المسكوت عنهم	٣٠١
٧	الافتراق وفقه التعامل معه	٣٥٥
٨	اختلاف القراءات وأثار دلالاتها	٤٢٧
٩	الفلسفة الوجودية دراسة نقدية فى ضوء الإسلام.	٤٦٣
١٠	القسم في القرآن الكريم.	٥٤١
١١	حديث القرآن عن الشيطان.	٥٨٩
	فهرس المجلد الأول.	٦٨٩

۱		
۲		
۳		
۴		
۵		
۶		
۷		
۸		
۹		
۱۰		
۱۱		
۱۲		

كلية أصول الدين

القاهرة